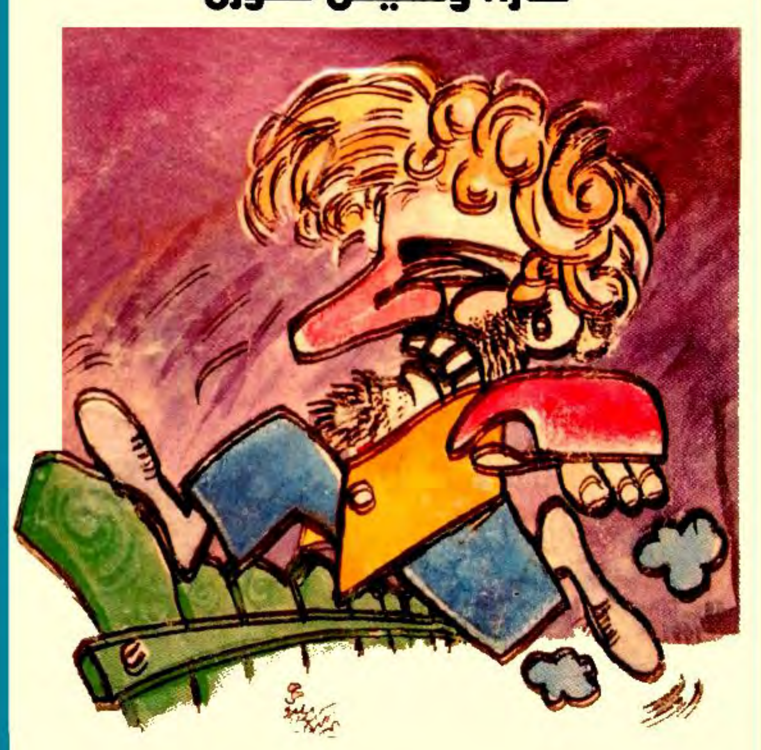
قصص
عالمية
للفتيان

الهارب وقصص أخرى

سارا، وستيفن كورن



ترجمة نعيم بدوي



الهارب وقصص اخرى

تحرير وتأليف

سارا وستيفن كورن

ترجمة

نعيم بدوي

فريق التوثيق الألكتروني



الهارب وقصص اخرى
تأليف: سارا. وستيفن كورن
ترجمة: نعيم بدوي
الطبعة الاولى ١٩٨٩

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال
العراق ـ بغداد ص. ب ٨٠٤١

قصص عالمية للفتيان

تصدر عن قسم النشر دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة: فاروق يوسف

الهارب
وقصص اخرى

تقديم

للكاتبين الانكليزيين سارا وستيفن كورن شهرة ذائعة في اعـداد كتابـات الآخرين ونشرهـا في مجموعـات لقصص الاطفال الذين تمتد اعمارهم بين الخامسة والثامنة ، وكانت تتضمن ايضاً مقتطفات أدبية فكاهية .

اما هذه المجموعة الثي بين ايدينا فهي للاطفال الأكبر سناً اي الذين هم في سن العاشرة فما فوق . وهي قصص واسعة المدى ، تتباين في وتائرها ما بين البراءة المحببة كما في قصة «الخباط» وبين الخيال المشع كما هو في قصة «نول الشعر» . كذلك تحتوي على قصص من تقاليد القرون الوسطى وعلى حكايات واساطير يونانية . فهي بهذا المدى قد تسد بعض فراغ يحس به اطفالنا حين يطلبون ما يقرأون .

الخباط
يلتقي شخصا خجولا

بي . ج . وودهوز



حين انظر الى الوراء ، اعتبر وظيفتي بوصفي كلباً حقيقيا ، قد بدأت حين اشتراني بقيمة نصف قرأن رجل حيي .

ان تلك الحادثة قد ختمت حياتي الطفولية ؛ فمعرفتي بأني اسوى نقدا حقيقيا لدى بعضهم قد ملأني باحساس جديد بالمسؤلية ، اضافة الى اني بعد ذلك النصف قران خرجت الى العالم الكبير؛ اذ مهما كانت الحياة ممتعة في الحانة في الطرف الشرقي ، فانت لا توسع فكرك وتبدأ برؤية الاشياء حقا الا حين تخرج الى الدنيا .

كانت حياتي ضمن حدودها مليئة وحيوية على نحو فريد . فانا قد ولدت في حانة في الطرف الشرقي ، ومهما كان عوز حانة من حيث التهذيب والثقافة الحقة فهي بالتأكيد تزود بكثير من الاثارات. فقبل ان ابلغ الاسبوع السادس من عمري هزمت على نحو غير متوقع ثلاثة من رجال الشرطة باندساسي بين ارجلهم حين اجتازوا عتبة الباب الجانبي ، وكانوا قد ظنوا انهم سمعوا اصواتا مشبوهة ، ولا أزال اتذكر الاحساس الممتع حين طوردت سبع عشرة مرة حول الساحة بيد تحمل مكنسة بعد غزوة جيدة التخطيط على موضع لحفظ اللحوم . هذه الحوادث واشباهها في طبيعتها قد خفت الان الا انها لايمكن ان تشفي القلق الذي كان يطبع سجيتي . كنت قلقا ابدا ، عاجزا عن الاستقرار في موضع واحد وتواقا لتناول شيء ثان . قد يعود ذلك الى اصل غجري في اسلافي .. فاحد اعمامي كان قد رحل في سركس ـ او انه مزاج فني مكتسب عن جد كانت له شهرة ، قبل ان يموت من تخمة تناوله عجينة

في غرفة المؤونة في مسرح برستول ، بانه احد كلاب البروفسور بوند التي تمثل البودلات[1].

وانا مدين بكل حياتي وتنوعاتها الى هذا القلق الذي بي ، فقد تركت لمرات عديدة بيوتا مريحة لغرض اتباع غريب كان يبدو انه في طريقه الى مكان ما ممتع . واحيا اظن ان بي دم قط .

دخل الرجل الخجول الى باحتنا بعد ظهر يوم من نيسان ، بينما كنت نائما مع أمي تحت اشعة الشمس فوق صديرية عتيقة استعرناها من فريد احد فتيان الحانة . سمعت امي تهـر ، الا اني لم التفت الى ذلك . وامي من يسمـونه كلب حراسة جيد ، فهي تهر على كل احد باستثناء سيدها . وفي البدء حين تفعل ذلك كنت انا انهض وانبح ، ولكن ليس الان . ان الحياة اقصر من ان تنبح على كل من يدخل الباحة عندنا . وخلف الحانة حيث تحفظ الاواني الفارغة واشياء اخرى كان الناس يروحون ويغدون على الدوام .

اضافه الى ذلك كنت تعبا ، كنت قد قمت بعمل ومشغولية صباح هذا اليوم ، اساعد الرجال الذين ينزلون صنـاديق البيرة ، واعود الى البهو جريا لأتحدث الى فريد وانظـر الى الاشياء بصورة عامة . وهكـذا كنت احس بالنعـاس حين سمعت صوتا يقول «حسنا» انه قبيح بما فيه الكفاية،،. ثم

(١) : نوع من الكلاب

عرفت انهم يتحدثون عني .

لم اكن اخفي ذلك عن نفسي ، كما لم يخفها احد عني ، من انني لست كلبا وسيما . وحتى امي لم تجدني جميلا كما انها هي لم تكن «غلاديس كوبر» ، غير انها لم تتردد بانتقاد مظهري .في الحقيقة ان أول شيء يقوله غريب يصادفني «ما اقبحه من كلب».

لا اعرف ماذا انا . فوجهي وجه «بلدوك»[1]، الا ان سائر اعضائي من صنف «التيرير» ذيلي طويل ينتصب في الهواء . وشعري سلكي وعيناي بنيتان ، وظهري اسود فاحم ، وصدري ابيض اللون .

وقد سمعت فريد مرة يقول بأني نسل كلب جيد ممتاز ، وقد وجدت فريد على العموم معتمدا في ما قرره .

وحين وجدتني موضع حديث . فتحت عينيّ كان سيدي واقفا هناك ينظر الي والى جانبه يقف الرجل الذي كان قد نطق للتوبأني قبيح بما يكفي . كان الرجل نحيفا وفي عمر فتى حانة واصغر من عمر شرطي . وكان يحتذي حذاءا بنيا مرقعا وبنطالا اسود .

قال سيدي : «ولكنه ذو طبيعة حلوة».

كان ما قاله حقا ، ومن حسن حظي؛ وكانت امي على الدوام تقول: ان كلبا دون تأثير او صفات خاصة . اذا كان

(١) : نوع من الكلاب

عليه ان يسير طريقه في الحياة فيجب اما ان يكـون حسن المنظر او انيسا . وانا قد تجـاوزت ذلك .. كـانت امي تقول دائما : «يمكن لكلب ان يكون سمح القلب ، دون ان يخادن كل يوم اوديك او هارى، يصادفهم. ان سلـوكك احيـانا ليس سلوكا كلبيا على الاطلاق» . كانت امي تفخر انها كلب واحد وهي تحفظ نفسها لنفسها ، فهي لا تقبّل اي احد عدا سيدها ـ حتى ولا فريد . والان ، فانا خباط .. لا انكر ذلك ، انها طبيعتي . فانا احب النـاس أحب تذوق احـذيتهم وتشمم ارجلهم وسماع اصواتهم . قد يكون ذلك ضعفا في ، ولكن تحدث اي انسان الي يبعث الرعدة في اعصابي ويجعلني اهز ذيلي .

هززت ذيلي فنظر الي الرجل من على بعد . لم يربت علي . خامرني الشك ـ والذي اعرفه اخـيرا ـ انه كـان خجولا ، وهكذا وثبت نحوه لازيل عنه التوتر .

وهرت أمي ثانية . وأحسست انها لم تستحسن ذلـك مني «هل ترى؟ انه قد مال اليك» قال له سيدي : لم يفه الرجل بكلمة ، وبدا انه يفكر في شيء ما .

كان من جنس اولئك الصامتين . وذكرني بـ«جو» الكلب العجوز في طرف الشارع لدى حانوت البقال ، الذي يضطجع في الباب طيلة يومه ، يرمش بعينيه ولا يتحدث مع احد .

شرع سيدي يتحدث عني ، وقد ادهشتني الطريقة التي

امتدحني بها ، لم اكن اشك في اعجابه الكبير بي وتظن مما قاله قد فزت بجوائز ومداليات من «قصر البللور» ، ولكن لم يظهر على الرجل اي تأثير . وظل ساكتا .

قال الرجل: انه اقل من هذا بكثير . وعرضي به هو نصف قران ، ولن تحصل مني على نصف فلس اكثر حتى ولو كان ملاكا هبط من السماء . فماذا تقول ؟ ..،

اخذت الرعدة بمفاصلي ونفذت الى ذيـلي ، لاني عرفت بالطبع ماذايحدث . لقد اراد الرجل ان يشتريني ويذهب بي الى الخارج . ونظرت الى سيدي مؤملا .

قال سيدي ، بشيء من الحزن: «انه بمثابة ابن لي اكثر منه كلبا».

قال الرجل غير مبال: «انه وجهه الذي يشعرك بذلك . فلو كان لك ولد لكان كمنظره اياه . ونصف قران هو عرضي ، وانا في عجلة من امري».

حسنا ، قال سيدي متنهدا «ولو ان في ذلك هدراً له ، هذا الكلب الثمين . اين نصف قرانك؟»

اخرج الرجل قطعة حبل وربط به عنقي .

اسمع الان امي تنصحني بان اكـون مشرفا لـلاسرة ، ولكنني كنت اكثر اهتياجا من ان اصغي .

قلت: «وداعا يا أبي ، وداعا ياسيدي ، وداعا يـافريـد ، وداعاً كل احد . فانا ذاهب لارى الحياة . لقد ابتاعني الرجل

الخجول بنصف قران . ووو ...» وجريت استدير واصرخ ، الى ان ركلني الرجل وامرني بالتوقف .
وهكذا فعلت .

لا ادري الى اين ذهبنا ، غير انه كان طريقا طويلا ، فانا لم اخرج في حياتي بعيدا عن شارعنا ، ولم اعرف ان الدنيا باجمعها هي اكثر من ذلك .، سرنا وسرنا والرجل يعت بحبلي حين كنت اريد ان اقف وانظر الى شيء ما . وحتى انه لم يدعني اقضي بعض الوقت مع كلاب اصادفها .

وحين سرنا مئات الاميال ، وكنا على وشك الدخول في مدخل مظلم . اوقف شرطي الرجل للحال . واحسست ان الرجل يجر حبلي ويحاول ان يستعجل ولا يريد التحدث الى الشرطي . وأكثر ما شاهدته من الرجل هو خجله الشديد .

«هيه» قال الشرطي . وكان علينا ان نقف .

واردف «لك عندي رسالة ايها الصديق القديم» انها من المجلس الصحي . قالوا لي ان اخبرك بانك بحاجة الى تغيير الهواء ، اترى؟ ».

«حسنا» قال الرجل .

«وأفعل ذلك باسرع مايمكن . والا اجبرتك على ذلك . اترى؟».

نظرت الى الرجل نظرة احترام . فمن الواضح انه ذو اهمية ،اذا كانوا قلقين على صحته .

قال الرجل: «انا في طريقي الى الريف هذه الليلة فلا تقلق»
سرنا ودخلنا المدخل المظلم وتسلقنا ملايين الدرجات ودلفنا الى حجرة تنبعث منها رائحة الفئران ،. جلس الرجل وفاه ببعض الشتائم ،وجلست انا انظر اليه .ونفد صبري .
قلت: «هل نعيش هنا؟ هل صحيح اننا ذاهبون الى الريف؟ اكان ذلك الشرطي صادقا؟ هل تحب الشرطة؟ انا اعرف كثيرا من رجال الشرطة في الحانة . هل توجد كلاب اخر هنا؟ ماذا للعشاء؟ ماذا في تلك الخزانة؟ هل بوسعي ان اخرج وارى ان كنت سأجد قطة؟
قال «كف عن العواء»
متى نذهب الى الريف . واين سنعيش؟
هل ستكون حارس منزل؟ ان والد «فريد» حارس في منزل كبير في كنت . لقد سمعت فريد حين اتيت لشرائي يتحدث عنه . لم تلتق بفريدحين اتيت الى الحانة ، افعلت ذلك؟ كنت ستحب فريد ، انا احبه ، وامي تحب فريد ، ونحن جميعا نحب فريد . ،،
كنت اريد ان اخبره بالكثير حول فريد ، الذي كان احد اعز اصدقائي ، حين تناول عصا وضربني بها بعنف .
قال «اسكت حين تؤمر»
كان في الحقيقة اكثر من عرفت خجلا . وقد بدا انه يسوؤه ان يتحدث اليه احد . على كل حال . كان هو السيد وعلي ان

اسره لذلك لم اتكلم بعد ذلك .

نزلنا الى الريف في تلك الليلة تماما كما قال الرجل للشرطي .

كنت ثائر المشاعر فقد سمعت الكثير عن الريف من فريد بحيث كنت في شوق ابدا لرؤيته . كان فريد يذهب الى هناك على دراجة بخارية بعض الاحيان ليقضي الليل مع ابيه في كنت وفي مرة جلب معه سنجابا ظننت انه من اجلي لآكله ، ولكن امي قالت كلا ان اول ما يجب ان يتعلمه الكلب هو ان الدنيا كلها لم تخلق له ليأكلها ..،،

كان الظلام دامسا حين وصلنا الى الريف، ولكن ظهر ان الرجل كان يعرف الى اين يذهب .

سحب حبلي وبدأنا نسير في طريق لاأناس فيها مطلقا . مشينا ومشينا وكان كل شيء جديدا علي بحيث نسيت كم انا تعب وشعرت ان ذهني يتسع مع كل خطوة .

كنا نمر من حين لاخر في منزل كبير ، يبدو انه فارغ ، ولكني عرفت ان هناك حارسا في داخله كما هو حال والد فريد . هذه المنازل الكبيرة تخص اناسا اغنياء جدا ، ولكنهم لا يريدون السكنى فيها الا في الصيف ولهذا يبقون فيها حراسا ، ولدى الحراس كلاب لطرد المتسكعين .

وتساءلت ما اذا كنت قد جيء بي الى هنا لهذا الغرض .

سألت الرجل: «هل انت تريد ان تصبح حارسا؟ ،،

قال صه ، فسكت . بعد ان مشينا طويلا ، وصلنا الى كوخ ، خرج منه رجل ظهر آن صاحبي يعرفه ، لانه خاطبه باسم «بيل» . ودهشت لرؤيتي صاحبي غير خجول مع بيل . لقد ظهر انهما صديقان .

قال بيل ، وهو ينظر الي «هل هذا هو؟»

قال الرجل «اشتريته بعد ظهر هذا اليوم»

قال بيل «حسنا ، انه قبيح بما فيه الكفاية . ويبدو انه شرس ، فاذا انا اردت كلبا فهو من النوع الذي اريده»

يبدو لي ان هناك كثيرا من المتاعب لدي في حين لا حاجة لمتاعب اخر البتة . ولماذا لا اقوم بفعل ما انا قائم به؟ ولكن الخطأ هو في تربية الكلب ، كما هو الامر دائما؟

قال الرجل: «اقول لك ما الخطأ . فلكي تبدأ بتربية اي كلب فعليك ان تفعل ذلك ليلا لا نهارا حين يفك من رباطه . فهو في الليل حبيس في البيت . وافرض انك تربيه اثناء النهار ، فماذا يحدث اذن؟

اما ان يحصل الفتى الحارس على كلب اخر او ان يجلس الى بندقيته طول الليل . والحراس هؤلاء ليسوا حراسا اعتياديين ، انهم يأتون الى هنا للعناية بالمنزل ذلك هو عملهم وليست امامهم اية فرصة .

كان هذا اطول حديث سمعته يفوه به الرجل ، ويظهر انه أثر في بيل ، فقد بدا خانعاً الى اقصى حد .

قال بيل : «لم اكن افكر في هذا ومن الخير ان نشرع بتدريب غريب الاطوار هذا في الحال . ».

كانت امي تقول دائما حين كنت اتوق الى الخروج الى الدنيا ومشاهدة الحياة ستأسف على ما تفعل ، فالحياة ليست كلها عظاما واكباد . وقد وجدت كلامها صحيحا ولما تمض لي الا ليلة واحدة مع الرجل وبيل .

كان خجل الرجل هو اصل المتاعب ، وظهر كما لو انه كان يكره ان يلاحظه احد . بدأ ذلك في اول ليلة لي في الكوخ . كنت انام في المطبخ تعباً بعد كل اثارات النهار وبعد المسير الطويل ، حين أيقظني شيء ما على اثر قفزة .. كان بعضهم يخربش في النافذة محاولا الدخول الى الداخل .

واسألك واسأل اي كلب ، ماذا انت فاعل لو كنت في محلي؟ لقد حدثتني امي مرات ومرات حتى حين كبرت ، عن ماذا علي ان افعل في مثل هذه الحالة . ان ذلك هو الفباء تربية الكلب .

«اذا كنت في حجرة وسمعت اي احد يحاول الدخول اليها فانبح . قد تكون للقادم مهمة يقوم بها وقد لا تكون ، انبح اولا ثم استفهم بعد ذلك . فقد خلقت الكلاب لتسمع لا لترى».

رفعت رأسي وصرخت ، فقد كان لي صوت لطيف عميق ينتسب الى أرومة اصيلة في دمي وفي الحانة كنت حين يكون القمر بدرا اشاهد أناساً ينحنون الى خارج النوافذ يقولون اشياء لمن هم في الشارع فكنت آخذ نفسا عميقا وادع الامر

وشأنه .

صرخت «يارجل . يابيل . يارجل . تعالا واسرعا ، هنا لص يدخل الى الداخل».

بعد ذلك اضاء بعضهم نورا وكان الرجل ذاته وقد نفذ من الشباك التقط عصا وضربني بعنف . لم افهم ذلك . ولم أعرف اي خطأ ارتكبته . ولكن كان هو السيد ولهذا ليس هناك ما يقال .

واذا كنت تصدقني ، فان الامر كان يحدث كل ليلة . واحيانا مرتين او ثلاث مرات قبل الصباح . وفي كل مرة كنت أنبح فيها باعلى صوتي والرجل ينير ضوءا ويضربني بعنف . كان الامر محيرا . لا يمكن ان اكون قد اسأت فهم ما قالت لي امي . فقد كررت ذلك تقول انبح . انبح . انبح . وكان هذا مبدأ اساسيا في تربيتها والان انا هنا ، اضرب بعنف كل ليلة بسبب نباحي .

فكرت في المسأله حتى اوجعني رأسي ، واخبرا وجدت الحل . وجدت ان رأي امي كان ضيق الافق فلا شك ان العيش مع رجل مثل سيدي في الحانة ، رجل لا اثر للخجل فيه ، يكون النباح شيئا صحيحا . غير ان الظروف تغير الاحوال . فانا قد اصبحت اخص رجلاً هو كتلة من الاعصاب ، يثب بمجرد التحدث اليه . علي الا انسى ما دربتني عليه امي ، وهو ما يبدو حالة عامة وان اكيف نفسي

لحاجات الرجل المعني الـذي صادف ان اشتـراني ـ لقد جربت طريقة امي ، وكل ما جلبته علي هو الضرب العنيف ، ولهذا سافكر انا نفسي في الامر .

وهكـذا ، في الليلة التـالية ، حـين سمعت الحـركـة في النافذة ، تمـددت دون اي صوت ، ولـو ان ذلك كـان رغم احسن مشاعري . وحين أتى لم اهر . ودخل احدهم وتحرك في الظلمة وبيده مصباح ، ولكن رغم اني شممت به رائحة الرجل ،لم اسأله اي سؤال وفي الحال اشعل الرجل المصباح وتقدم نحوي وربت علي ، وهو شيء لم يفعله من قبل .

قال: «كلب جيد .، والان يمكنك تناول هذا».

وسمح لي بلعق قدر صغير كان العشاء قد طبخ فيه .

بعد ذلك ،كانت رفقتنا حسنة .فحالما كنت اسمع احدا ما في النافذة كنت اتقوقع ولا الاحظ شيئا ، وفي كل مرة احصل على عظم او شيء ما جيد ، والامر يسهل اذا ما ادركت مرة مغزى الاشياء .

بعد اسبوع اخرجني الرجل الى الخارج في صباح احد الايام .

مشينا دربا طويلا الى ان استدرنا نحو بوابات كبيرة وسرنا في طريق ممهد الى ان وصلنا الى منزل كبير ، قائم بمفـرده وسط ريف متسع .

كان امام البيت ساحة كبيرة من الثيل ، وتحيط بـه من

الاطراف حقول واشجار ، ومن خلفه تقوم غابة عظيمة .

دق الرجل جرسا ، وفتحت الباب ، وخرج رجل شيخ .

«حسنا؟» قال الشيخ بدون ترحيب .

قال الرجل: «ظننت انك تريد شراء كلب حراسة جيد»

قال الحارس :«شيء غريب ما تقوله ، انها مصادفة ، ذلك فعلا ما اريد شراءه ما كنت افكر في الذهاب للحصول على واحد . ان كلبي العجوز قد التقم شيئا ما هذا الصباح ما كان ينبغي له ان يلتقمه ، فمات ، المسكين».

قال الرجل «يا للمسكين ، اظنه قد وجد عظما عتيقا وعليه كبريت».

«كم تريد بهذا؟»

«خمسة دراهم»

«هل هو كلب حراسة جيد؟»

«يبدو شرسا بما فيه الكفاية»

«آ .. !»

اعطى الحارس الرجل خمسه دراهم وذهب الرجل وتركني .

ان الاشياء الاولى التي وجدتها وهي الروائح غير المألوفة والتعرف على الحارس ، وكان شيخا طيبا ، كل ذلك منعني عن التفكير بافتقادي الرجل ، ولكن حين انصرم النهار وبدأت اتحقق من ذهابه وعدم عودته ، اكتأبت . تسكعت حول

المنزل اعوي . كان منزلا ممتعا ، اكبر مما كنت اظنه بيتا ، الا انه لم يسرني .

يمكنك ان تظن ان من الغريب ان اشتاق الى الرّجل ، بعد كل ما نالني منه من ضرب عنيف ، وهو امر غريب لو فكرت فيه . ولكن الكلاب هي الكلاب ، وقد خلقت هكـذا ، ولدى حلول المساء احسست بالتعاسة . وجدت حـذاء وفرشـاة ملابس عتيقة في احدى الغرف ، ولكني لم استطع اكل اي شيء . جلست مكتئبا فحسب .

انه شيء مضحك حقا ، ولكن يبدو انه يحدث دائما؟ فان شيئا ما حسنا قد يحصل حين تحس بالتعاسـة احساسـا عميقا .

فحين كنت جالسا هناك سمعت صـوت دراجة بخـارية وصياح رجل من الخارج . كان ذلك هو العـزيز الصـديق القديم «فريد» صديقي وخـديني وخير من عـرفت . ميزت صوته في لحظـة ، ورحت اخربش في البـاب قبل ان ينهض الشيخ من على مقعده حسنا ، حسنا ، حسنا ، كـانت تلك مفاجأة سارة، درت حول الثيل خمس مرات دون توقف ، ثم عدت ووثبت عليه .

قلت : «ماذا تعمل هنا يا فريد؟ هل هذا الحارس ابوك ؟ هل رأيت الارنب في الغـابـة ؟ كم ستلبث ؟ كيف امي ؟ احب الريف ، هل جئت مباشرة من الحانة ؟ انا الان اعيش هنا .

لقد ابتاعني ابوك بخمسة دراهم وهذا اكثر بمرات من ثمني حين رأيتك لاخر مرة».

قال فريد : «انا الزنجي الصغير كما يسمونني في الحانة ، وانت ماذا تفعل هنـا ؟ من اين حصلت على هـذا الكلب يا ابي ؟»

باعه علي رجل هذا الصباح ، فبوب المسكين قد تسمم . ويلزم ان يكون هذا كلب حراسة جيد . انه ينبح بصوت عال بما يكفي . ،،

«ينبغي ان يكون . فامـه خير كلبـة حراسـة في لندن . والكلب الممتاز هذا كان يعود الى السيد ، ومن المضحك ان يستقر هنا».

دخلنـا الى المنـزل وتعشينـا ، وبعـد العشـاء جلسنـا وتحدثنا . سيمضي فريد هنا ليلة واحدة فالسيد يريـده ان يعود في اليوم التالي .

قال فريد : «ساقوم بالعمل عنك في الحال يا ابي ، اعجب اذا لم تكن تفزع من لصوص الليل ، في هذه الاماكن المنعزلة»

«لدي بندقيتي ويوجد كلب ، كنت سافزع لـولاه ولكنه يبعث بي الاطمئنان لقد كان بوب يفعل ذلك، ان الكلاب شيء مريح في الريف».

«هل حصلت لك مقالب كثيرة مع بعضهم هنا ؟»

«شاهدت واحدا فقط في شهرين ، ذلك هو المسكين الذي

باعني الكلب هنا» وفي حين كانا يتحدثان عن الرجل سألت فريد اذا كان قد عرفه . قد يكونان التقيا في الحانة ، حين جاء الرجل ليشتريني من السيد .

قلت «ستحبه ، اود لو انكما تلتقيان»

ونظر كلاهما الي .

سأل فريد : «على ماذا يهر هل تظن انه سمع شيئا ما»؟

ضحك الشيخ .

«انه ليس بهار انه يتكلم في نومه . انت عصبي المزاج يا فريد وهذا متأت من سكناك في المدينة».

حسنا انا كذلك . احب هذا المكان نهاراً الا انه يخنقني ليلا . كل شيء هادىء كيف تحتمل ذلك كل الوقت ، لا افهم، ليلتان هنا فقط تريانني الاشباح».

ضحك والده .

«اذا كنت تحس بذلك يا فريد فعليك ان تأخذ البندقية معك الى الفراش . ساكون سعيدا بدونها».

قال فريد : «سافعل ، ساخذ سلة ان كانت معك».

بعد ذلك صعدا الى الطابق الاعلى . اما انا فلي سلة في البهو كانت تخص "بوب" الكلب الذي تسمم . كانت سلة مريحة ، الا اني كنت مثارا لملاقات فريد بحيث لم اقدر على النوم . اضافة الى ذلك ، كانت هناك رائحة فئران في مكان ما ، وكان علي ان اتحرك دائرا محاولا التثبت من مكانها

كنت اشم موقعا في الجدار ، حين سمعت صوت خربشة . فكرت في البدء انه من عمل الفئران في مكان بعيد .

ولكن حين اصغيت وجدت ان الصوت آت من النافذة ، هناك من يفعل ذلك من الخارج . لو كانت هي امي جاءت الى هنا من السطح وانا افعل ذلك ايضا ، لم افكر ان يكون الرجل قد عاد لانه قد ذهب ولم يقل اي شيء يوحي بأن سيراني ثانية . الا انني لم انبح . وقفت حيث انا واصغيت وفي الحال فتحت النافذة وبدا احدهم يتسلق داخلا، تشممت جيدا فعرفت انه كان الرجل .

فرحت الى حد اني للحظة نسيت نفسي تقريبا وصرخت فرحا لكنني تذكرت في الوقت عينه كم كان الرجل خجولا ، فانقطعت عن الصراخ . ولكني جريت نحوه ووثبت عليه بهدوء تام فامرني ان استلقي ، ولكن يا للخيبة لقد بدا انه لم يكن مسرورا بلقائي ، فاستلقيت .

كان الظلام حالكا ولكن كان قد جاء معه بمصباح ، وكنت اراه يتحرك في الغرفة يلتقط اشياء ويضعها في كيس جلبه معه . كان يقف من حين لاخر ويصغي ، ثم يستأنف الحركة من جديد . كان على عجلة من امره ، لكن بهدوء تام . ومن الواضح انه ما كان يريد فريد او اباه ان ينزلا ويجداه .

ظللت افكر في سجيته بينما كنت اراقبه . افترض ، وانا نفسي اليف اجتماعي خباط ان من الصعب فهم عدم

اجتماعية اي احد في الدنيا ايضا . ومعلوم ان تجربتي في الحانة قد علمتني ان الناس يختلفون في ما بينهم كما هي الحال لدى الكلاب . فلو اني علكت حذاء السيد مثلاً لركلني اما اذا علكت حذاء فريد فسيدغدغني تحت اذني . كذلك فبعض الناس خجولون وبعض الناس خباطون اليفون .

لقد ادركت ذلك جيدا ولم اقاوم الشعور بأن الرجل كان يحمل خجله الى حد انه كان شيئا مرضيا . ولم يعط نفسه فرصة للشفاء منه . تلك كانت هي النقطة الاساسية . تصور رجلا يكره ملاقاة الناس بحيث لا يزور بيوتهم الا في منتصف الليل حيث يكونون في افرشتهم نائمين . ذلك غباء . كان الخجل شيئا ابعد ما يكون عن طبيعتي بحيث لم اعطه اي انتباه وانا على رأي بانك تستطيع التغلب على الخجل اذا ما بذلت بعض الجهد ، ومشكلة الرجل انه لم يبذل اي جهد واستمر في سبيله على تجنب الالتقاء بالناس .

كنت مولعا بالرجل ، كان من نوع الاشخاص الذين لا تفهمهم جيدا ، ولكننا عشنا معا لمدة طويلة ، ولست كلبا ان لم اقترب منه .

وحين كنت جالسا اراقبه يزحف في الغرفة ، خطر لي ان هناك فرصة لاكافئه رغما عنه .

كان فريد في الطابق الاعلى ، وهو كما عرفته بالتجربة اسهل رجل تنسجم معه في الدنيا . فليس هناك من يكون

خجولا مع فريد .

وفكرت .. لو انني فقط استطيع ان اجمعه مع الرجل لانسجما بصورة ممتازة ،

وسيعلم ذلك الجل ان عليه الا يكون احمق ويتجنب الناس . وسيساعده ذلك على الثقة التي يحتاج اليها . لقد رأيته مع بيل ، وعرفت انه يمكن ان يكون طبيعيا تماما وسهلاً حين يريد .

من المحقق ان الرجل قد يعارض في البدء ، ولكن فترة سيرى ان ما فعلته كان في مصلحته ، وسيكون شاكرا .

كانت الصعوبة هي كيفية انزال فريد دون افزاع الرجل . وقد كنت اعرف اني لو صحت لما انتظر ، بل سيقفز من النافذة الى الخارج قبل ان يصل فريد . ما كان علي ان افعله اذن هو ان اذهب الى غرفة فريد ، اوضح له الامر كله ، واسأله ان ينزل ويبهج نفسه .

كان الرجل مشغولا الى حد انه لم ينتبه الي . كان راكعا في زاوية وظهره الي ، وهو يضع شيئا ما في كيسه . وانتهزت الفرصة لانسل بلطف من الغرفة .

كانت باب فريد مغلقة ، وبوسعي ان اسمعه يشخر ، خربشت بلطف ثم بشدة الى ان سمعت الشخير يتوقف نهض من الفراش وفتح الباب .

همست : «لا تأت بضوضاء ، وانزل الى الاسفل ، اريدك

ان تقابل صديقا لي».

في البدء كان عنيدا .

قال: «ما الامر ، تأتي وتفسد نوم رجل هنيء؟ اخرج».

حاول في الواقع ، ان يعود الى الغرفة .

قلت: «كلا يا فريد ، لست بخادعك . هناك رجل في الاسفل . دخل من النافذة وأريدك ان تلاقيه . انه خجول جدا ، واظن انك ستتفضل عليه ان تحدثت اليه»

«عن ماذا تعوى؟» قال فريد ثم توقف في الحال ينصت . كان كلانا يسمع صوت خطوات الرجل وهو يتحرك .

قفز فريد عائدا الى الغرفة وعاد يحمل شيئا ما . لم يقل شيئا . بل شرع يهبط بهدوء وانا خلفه .

كان الرجل هناك ، لا يزال يضع اشياء في كيسه ، وكنت على وشك ان اقدم فريد له حين اطلق فريد صيحة عظيمة . كدت اعظه .

قلت : «ماذا تنوي ان تفعل ايها الابله؟ ، قلت لك انه خجول ، وها انك افزعته».

لقد حدث ذلك حقا ، فقد خرج الرجل من النافذة اسرع مما تتصور ، لقد كاد يطير . ناديته «انه ليس الا فريد وانا»

ولكن في تلك اللحظة انطلقت بندقية بصوت عال ، بحيث لم يسمعني .

استأت لما حدث فكل شيء قد حدث خطأ وظهر ان فريد فقد

صوابه ، كان يتسلك تسلك حمار بـالضبط . وبالطبـع لقد افزع الرجل بما كان يحمله معه .

قفزت من النافذة لارى اذا كنت اجد الرجل واوضح له ، الا انه كان قد اختفى . قفز فـريد عـلى اثري واوشـك ان يعصرني .

كانت الظلمة حالكة ، وما كنت اقدر ان ارى شيئا ، ولكن عرفت بأن الرجل يبتعد ، بل ، انني اسمعه . بدأت اتشمم في ما حولي لعلي اجد له اثرا . ولم يطل الوقت حتى عثـرت عليه .

كان والد فريد قد هبط الى الاسفل ايضا ، وكانا كلاهما يجريان حول تلك البقعة وكان بيد الشيخ مصباح . تتبعت الاثـر فانتهى الى شجـرة نبق ضخمة ، ليست بعيـدة عن المنزل ، جلست تحتها ونظرت الى الاعلى وبالطبع لم أر أي شيء .

صحت : «هل انت هناك . ليس هنا ما تفزع منه . انـه فريد حسب ، وهو خدن قديم لي . انه يعمل في المحل الذي اشتريتني منه . وقد انطلقت النارمن البندقية عرضاً ، انه لا يريد ايذاءك»

ليس هناك من صوت وبدأت اظنني قد ارتكبت خطأ ما .

«لقد هرب» سمعت فريد يقول لابيه . وحالما قالها سمعت صوتا ضعيفا لاحدهم وهو يتحرك بين الاغصان من فوقي

قلت «كلا لم يهرب ، انه هناك فوق الشجرة» .
قال فريد «اظن ان الكلب قد اكتشفه يا ابي»
قلت: «اجل انه هناك فوق الشجرة فتعال والتق به»
تحرك فريد نحو اصل جذ ع الشجرة وقال :
«انت الذي فوق هناك، انزل»
لم يأت اي صوت من الشجرة .

اوضحت انا «كل شيء على ما يرام ، انه هناك في الاعلى ، الا انه جد خجول ، فاطلب منه ذلك ثانية».

قال فريد : «حسنا ، ابق هناك اذا شئت . ولكني ساطلق النار بين الاغصان مزحة».

بدأ الرجل ينزل وحالما لامس الارض وثبت نحوه .

قلت : «هذا رائع . فها هو صديقي فريد وستحبه»

ولكن لم يكن الامر حسنا ، فهما لم ينسجما معا مطلقا . ونادرا ما تحدثا الى بعضهما البعض .

دخل الرجل الى البيت وتبعه فريد حاملا بندقيته . وحين كانا في المنزل كان الامر بينهما كما كان من قبل .

جلس الرجل على كرسي وجلس فريد على كرسي اخر ، وبعد فترة طويلة جاء نفر في سيارة وذهب معهم الرجل ولم يقل لي وداعا .

حين ذهب الرجل اطراني فريد وابوه اطراء كثيرا لم افهمه .. فالناس غريبو الاطوار.. فالرجل لم يكن مسرورا من

اني اتيت به الى فريد ولكن فريد بدا كما لو انه لا يقدر ان يفعل لي ما يكفي بسبب تعريفي اياه على الرجل .

مهما كان الحال ، فابو فريد جاء بقطعة من اللحم ـ طبقي المفضل ـ واعطاني مقداراً كبيراً منهـا ، ولذا تـوقفت عن القلق .

وكما تقول امي دائما «لا تزعج نفسك على ما لا يخصك . فكل ما يحتاج اليه الكلب ويتعلق به هو قائمة الطعام ،

كل كعكتك ، ولا تشغل نفسك بشؤون الاخرين »

ان وجهة نظر امي ضيقة في بعض الحالات ، ولكن لديها ذخيرة عظمى من النظرة السليمة الخالصة .



ديدالوس وايكاروس

بينيلوب فارمر



كـانت الشمس في كبد السمـاء فوق الجـزيرة والبحـر يصطفق على السواحل يستقبل الضيـاء ويتألق . وكـانت الارض تمتص اشعاع الشمس ، الا أن الشمس والبحر كانا

الى بعضهما لبعض يتناجيان .

كان البحر هو بحر ايجه ، بحر الالهة والابطال ، وكانت الجزيرة هي جزيرة كريت .

الى كريت عبر البحر هناك فر رجل يدعى ديدالوس . كان مهندسا ، والمع مخترع في زمنه ، ولا احد يعرف اكثر منه . في الحقيقة ان تكبره هو الذي قاده الى ذلك الفرار ، اذ لما صارت مهارة ابن اخيه تنافس مهارته ، دفعه ديدالوس غيرة منه من فوق سطح فمات ، وهكذا نفي عقوبة له من اثينا ، مسقط رأسه . اصطحب معه في منفاه ابنه الشاب ايكاروس . كان يهيم بذلك الصبي محبة . وحين تسمعه يتحدث عنه ، كنت تظن انه قد قام باختراعه لا بانجابه فحسب .

كان في كريت في مدينة اكتوسس ، يقوم قصر يلتمع تحت اشعة الشمس ، ويعتمد على عمد مخططة ، ولا احد قد قدر على عد غرفه وصالاته وابهائه . وفي اعظم تلك الصالات كان يجلس مينوس ملك كريت ، فوق عرش مموه بالذهب . كان جبارا وشمسا بين الملوك ، يحكم امبراطورية من دول خاضعة حول بحر ايجه . والان ها هو ديدالوس المتكبر ينحني امامه .

«مرحبا بديدالوس ، مرحبا بك في بلاطنا ، ايها المهندس الحاذق ، ان اسمك معروف لدينا ، وقد سمعنا ايضا بمهارتك مما يضاعف الترحيب بك هنا . فلدينا واجب

للالتقاء بمهارة كمهارتك ، وانجاز ذلك في الحقيقة هـو ثمن استضافتك انت ووالدك».

نهض مينوس من على عرشه وقاد ديد الوس وايكاروس الى باب معمولة من قضبان حديدية ، ويبعث من غرفه في الداخل هواء ساخن وعفونة كعفونة الحقول .

«نرغب ان نبني لنا حصنا تحت منزلنا ،لا يقدر ان يهرب منه اي شيء واي انسان او وحش ، حتى ولا جبابرة مخيفة كهذا ، انظر يا ديدالوس ، انه ابننـا مينوطـور ـ (حيوان خرافي نصف انسان ونصف ثور) .

كانت يدا المينوطور اللتان تمسكان بالقضبان ضخمتين الا انهما يدان بشريتان يعلوهما شعر ملتو اسود ، كل شعرة بصلابة السلك . وكانت شفتاه على شكل شفتي انسان ولو انهما صلبتان كالخشب .

نظر الى ديد الوس بعينين صغيرتين محمرتين غاضبتين . فتح فمه الكهفي الاحمر وزأر . ودفع رأسه الى الوراء ، رأس ثور اسود .

«ايهـا الملك انت عظيم حقـا ، ولكن لن تقدر ان تختـار معماريا خيرا مني . ان السجن الذي سابنيه سيجعل اسمي مينوس وديد الوس خالدين مدى الـدهر واقسم بـابوللـو و هيفيستيوس اله الحرفيين ، ان ليس من رجل ولا من وحش يستطيع الهرب منه».

بدأ ديدالوس يضع المخططات أولاً وينشرها على الواح من الشمع الاصفر ، وهي مخططات معقدة بحيث لم يكن يقدر على فك رموزها اي احد سواه . بعد ذلك رتب جنودا من العبيد والعمال للشغل ، بحيث كانوا يكفون لتكوين جيش ، وعميقا تحت القصر ، بالمعاول والمساحي والمطارق ، اقتلعوا صخور كريت . منهم من كان يجزئها ويسحقها الى ان يتطاير منها الشرر ، وقسم كانوا يحملون المسحوق في سلال على ظهورهم ، وآخرون كانوا يصنعون اسانيد واعمدة لاسناد السقف .

وشيئا فشيئا عملوا من الصخر متاهة وشبكة من الممرات ، بفوضى معقدة من الانفاق والممرات ، مع منعطفات خادعة وازقة لا يلتقي بها احد باحد ولوكانوا مئات من الناس يتجولون هناك او مئات من الانهر الجارية .

في تلك المتاهة عاش المينوطور ، تحبس الصخور زئيره بحيث لا يسمع الا واطئا في افناء القصر وكان الناس حين يسمعونه يرتعبون . لقد كانوا يعلمون بان مينوس يرسل الى هناك من يغضب عليهم ليكونوا لابنه غذاء ، وكان الجميع لدى المينوطور لحما طريا سواء اكانوا من كريت او اسبارطه او اثينا . لا احد يقدر على الوقوف بوجه هجومه الوحشي من منعطفات مظلمة في المتاهة .

عاش ديدالوس فترة في اكتوسيس في خدمة الملك . وبدا

انه يزداد مهارة وابداعا عن ذي قبل فقد صنع الحديد ما يشبه عظم السمك الفقري مع صفوف من الاسنان الصغيرة ، وكان هذا اول منشار يرى ، وطابق بين قضيبين من الحديد ليجعل منهما قمباصا يرسم به دائرة كاملة . ذاعت شهرته في جميع انحاء اليونان ، وحول جميع انحاء بحر ايجه . لقد توهجت شهرته ايضا فتعجرف الى ان ظن ان مهارته تساوي مهارة الاله . كانت شمس مينوس تشرق عليه اكثر اشعاعا كل يوم ، ولا يبدو اي شيء يزحزحه عن رضا الملك .

ولكن، في احد الايام جاء الحراس للقبض على ديدالوس وايكاروس وسوقهما امام مينوس الملك . كان الملك محنقا يتميز غيظا ويخور كالثور ، كما يفعل ابنه المينوطور

«أهكذا ياديدالوس ، لقد فاخرت بان لا احد يستطيع الهرب من متاهتك . ، الا ان الميناطور قد مات . لقد قتل أحدهم ولدنا وعرف سر المتاهة وابحر خارجا سالما من كريت . فانت وابنك ستلقيان في المتاهة ، واذا انت هربت من هناك ، فلن تبتعد ، نقسم على ذلك . اننا مينوس ، لا نقسم قسما فارغا . اننا لانحكم كريت فقط بل وجميع البحار من حولها . وبدون سفن لايقدر انسان ان يهرب من كريت ، وانت ايها المعمار الحاذق ، الماهر كما هو انت ، ليس تحت امرتك سفن في بحرنا الايجي».

القي ديدالوس وابنه إيكاروس في السجن الذي كان قد اقامه . اخذ معه كرة من خيط ذهبي ، كان يبدو في مثل تلك الظلمة كما لو أنه شمس . تلك هي الحيلة التي قام بصنعها سرا ليستدل بها على نهاية المتاهـة . ثبت احد الطـرفين في موضع في المدخل وبدأت الكرة تنتشر ببطء امامهما خـلال جميع المنحنيات والمنعطفات والمربكات في المدخل وفي الازقة ، بعد فترة شم ديدالوس رائحة حقل كريهة ، مألوفة غير انها تشير الى قذارة اكثر وضرر افدح . ازدادت رائحة النتن الى ان وصلا الى الكهف في قلب المتاهة حيث كانت جثة المينوطور مطروحة تتعفن فوق قش قذر .

انه ضعيف الان غير فعال وتافه وضئيل . كـانت عيناه الحمراوان مغلقتين واطرافه رخوة مترهلة . وليس هناك من خطر الا قرناه الصفراوان ، نظر ديدالوس ما وراء الجثـة مرتجفا ، ممسكا بيده مصباحا صغيرا رفعه الى الاعلى ليصل ضياؤه الى ابعد زوايا الكهف ، حيث تنتشر العظام والجماجم البشرية في كل مكان . كان يـوجد ايضـا ريش طيور كـان المينوطور قد التهمها . التقط جنـاح واحدة منهـا وفحص ريشها وعراق ريشها .

قال : «مينوس يحكم ارض كريت ، وقد يحكم البحر من حولها ايضا ، ولكن تذكر يابني ايكاروس ، ان الملك العظيم مينوس لايحكم السماء»

لم يعرف ايكاروس ماذا كان ابوه يعني بهذا . راقب اباه يضـع ريشاً متـداخلة في صفـوف اربعة كـلاً على حـده ، والواحدة تنقص عن الاخرى من اول طرف الى الاخر .

ثم اخرج ديدالوس من حلته كتلة من الشمع وابرة وخيطا دقيقا قويـا . ربط الريشـات الكبيرة الى بعضهـا بالابـرة والخيط . وألان الشمع بحرارة المصباح واستعمله لتوحيد الريشات الاصغر حجما

راقب ايكاروس يدي والده الصابرتين ، ولاحظ الريش الصغير يتذبذب فوق المصباح والشمع يتقـاطر الى اسفـل ببطء . كان ديدالوس ، في بعض الاحيان يجعـل ايكاروس يمسـك بالـريش او يسحب طرف خيط وكـان هـو تـواقـا للمساعدة ، واكثر شوقا لهز ذراع ابيه ولجعل ظله يسقط عبر الضوء .

واخيرا اخذ ديدالوس صفوف الريش المكتملـة وثناهـا وقوسها على شكل ما وانه يرى الان ماذا كانت تعني ، كيف صنع ابوه ديدالوس من اجنحة الطيور اجنحة للبشر ، زوجين واحدا له وواحدا لايكاروس .

ذبل بريق المصباح ، فغادرا الكهف وضوؤهما الـوحيد الخيط الدليل في الكـرة الذهبيـة المتناقصـة التي انتشرت امامهما نحو المدخل السري للمتاهة حيث لا حراس يقفون بالانتظار هناك . تضخم صوت تنفسهما ، ودلفا يسيران في

طريقهما ولم يكن هنـاك من ضوء حتى عنـدما اقتـربا من النهاية ، حتى ولا منفذ من بصيص واحد . ازدوج الحبل ثم رجع عائدا ثانية وهما لاصقان به يتبعانه .

فجأة سطع النور وانبثق صوبهما . كان عليهما ان يحجبا عيونهما ضد اشعة الشمس المحرقة المعشية . وهب عليهما الهواء ايضا ، هواء قوي تمـلأه رائحة العسـل والصعتر البري لان هذا المدخل الى المتاهة كان يقع على جانب حقل مجاور وعلى مشهد من البحر المتألق .

حين الفت عينا ديدالوس الضوء في الاخير ، اخذ بعض سيـور جلـديـة وثبت زوج الاجنحـة الاصغـر في ذراعي ايكاروس . وثبت الاكبر في ذراعيه هو موضحا كل ما عليهما ان يفعلاه . اذ يترتب عليهما استعمال اذرعتهما بمثابة عظام جناحِ الطائر . لتجعل الريش يرتفع ويهبط بلطف .

«ولكن انتبـه ، يابني ايكـاروس ، انتبه ، لاتطـر واطئا جدا ، قريبا من البحر ، لان الريش اذا ما تندى لن يحملك . ولكن لا ترتفع عاليا جدا ، قريبا من الشمس ، لأن حرارة الشمس كـالمصبـاح ، ستـذيب الشمـع وتجعـل الـريش يتساقط».

سمع ايكاروس ما اوصاه به ابوه ، ولكن لم يكن صابرا على الشروع بالطيران فحرك ذراعيه مجربا ، بحيث ان الهواء نفذ في ريش الجناحين .

شرع ديدالوس يركض على طول التل . وحين بلغ بعض السرعة وثب في الهواء ، صائحاً بايكاروس بأن يلحقه . حرك كلاهما ذراعيه بشكل غير دقيق ، وبحركات قصيرة سريعة التتابع . لم يحلقا عاليا كما كانا يتوقعان ، بل ظلا يصارعان بارتعاش ، ليس بعيدا عن الصخرة . ظل ديدالوس قريبا من ايكاروس ، يرشده ، ولكنه لم يفعل بعد ما يجعله طيرا رشيقا . فلو ان ضربة ما ستحلق به فسيفقد المهارة في الحال وينزلق الى الاسفل ثانية . ففي احدى المرات وايكاروس في اندفاعة له الى الاعلى التقى بديدالوس يصارع تحته وتخالفت اجنحتهما وسقطا فوق الصخرة .

تعلم ايكاروس قبل ابيه انسجام الطيران واسلوبه . وطار في الهواء وابتعد ، تملأه البهجة ، ويصرخ جذلا ، وتبعه ديدالوس بنفس الوقت تقريبا محلقا في السماء . كانت اذرعتهما تنساب بلطف اعلى وادنى ، وكان الريش يأخذ قوة وحياة بحيث لم يعد الذراعان ذراعين ابدا ، فالعظام تنساب طيعة كأنها عظام الطير الخفيفة ، وبدت الريح مختلفة ، ايضا ، متواصلة واقية قوية ـ احتضنتهما وملأتهما وأحاطت بهما ، ومن فوقهما ترتفع شمس ساطعة ذهبية .

ارتفع ديدالوس وايكاروس وظلا يرتفعان ، وبدأ الناس في الاسفل يلاحظونهما . اتكأ الفلاحون على محاريثهم وصوبوا نحو السماء انظارهم . وهم يغطون ابصارهم ضد

اشعـة الشمس . وتركت الغسـالات الثيـاب دون فـرك ، والصيادون دعوا شباكهم تسقط ، وبناة الزوارق طرحـوا المناشير التي صنعها لهم ديد الوس . وحين شرعا يطيران عبر البحر ، جاء الملاحون راكضين الى جانب السفن ليحـدقوا بها . الكل قد تصوروا انهم يشاهدون الهة لا بشرا .

شعر ديد الـوس كأنــه آله . لقـد كان مختـرع الطيران البشري ، وهو اول فان يطير ، وصاح بـالهواء وبـالشمس وبالبحر متهللا .

«ماذا تقولون ايها الآلهة الجبارة ؟ لقد غيرتم الناس الى طيور لتجعلوهم يطيرون . وايكاروس وهو لايزال صبياً ، الا انه يطير كنسر خلال الريح».

كان ايكاروس يطير كنورس اكثر ماهو كنسر ، وهبط الى الادنى ، مبتهجا عبر تألقات البحر بحيث ان اباه صرخ به ملوحا له بأن يطير اعلى في الهواء . وهو بالرغم من منعه من التمتع باللعبة الا ان فرحا اكبر غمره في الحال ، وهو يحرك ذراعيه بضربات اقوى فاقوى ، منقضاً ، محلقا في السماء كالنسر الذي تخيله ابوه .

عاد ديد الوس الى احلامه الالهية ولها عن مراقبة طيران ايكاروس .

«يحتاج بعض الناس الى الالهة ليطيروا . وايكاروس عنده ابوه الفاني ديد الوس»

طـار ايكاروس اعـلى فاعـلى ، نحو الشمس القـويـة . وارتفعت حـرارة الهواء ، وزاد بـريق الشمس ، واعشـاء العيون . نسي كل التحذيرات ، وهو يطير مقترباً من الشمس كما لو انه يجر الى ذلك ، كحشرة تطير نحو مصباح .

بدأ الشمع في جنـاحيه يـذوب ببطء ، ولان بلطف ، ثم تساقط قليلا فقليلا وانزلقت ريشة منه ، وسقطت مهومة تدور الى الاسفل نحو البحر . تبعتها ريشات اخريات منفردات في البدء ثم اكثر فاكثر في كتل مرة واحدة . وفجأة وايكاروس في قمة ابتهاجه ، حرك جناحيه ، ولكن لم يكن باقيا فيهـا من الريش ما يكفي للعب في الهواء وليحفظه عاليا في طيرانه .

نظر ابوه من ورائه ، ليرى ابنه هابطا منكس الرأس اسرع من الـريش ، ومتجاوزا كـل واحـدة فيهـا وكنـورس هبط ايكاروس نحو البحر ، لكنه لم يتجه منحرفا بسلام كما بفعل النورس فوق الامواج . غطس في قلب الامواج واطبقت عليه مياهها المفزعة . وكل ما تبقى من ايكاروس كان بضع ريشات طافية على سطح البحر ، بينما طـار ابوه وحيـداً باكيـاً في السماء .

ترستـرام و ايـسولت الحسنـاء

روجر لانـسيلين غرين



بعد سنوات كثيرة من انشاء الطـاولة المستـديرة، بقي كرسيان شاغرين اضافة الى كرسي بيريلوس. والاماكن الاخر قد تحتاج في بعض الاوقات الى اسم من يشغلها لفترة قصيرة،

عندما يقتل احد الفرسان في معارك شديدة او يكون في مهمة، ولكن يوجد من يحل محله على الدوام، غير ان الملك ارثر كان يعلم بان المكانين الشاغرين بجانب بـيرليوس، واحـداً عن اليمين والثاني عن اليسار لا يمكن سدهما بسهولة، هذان المقعـدان ومقعد بـيريليوس وواحـد عن يمينهم وآخر عن يسارهم كانوا خير الفرسان في «لوغريس».

كان الفارس «غاوين» يحتل واحداً والفارس لانسيلوت يحتل الثاني من على يمين ويسار مقعد بيريليوس ـ لكن لا السيد غاريث ولا السيد «بورز» يمكن ان يحتـلا المقعدين الخاليين.

والآن واثناء مأدبة معينة في بنتيكوست حين كان جميع الفرسان مجتمعين في مدينة كاميلوت، تكلم الملك ارثـر مع لانسيلوت و«غاوين» حول المقعدين الخاليين.

قال «غاوين» يوجد فارس واحد سمعت باسمه يوحي بأنه اعظم الجميع، ولكنه لم يحضر قط الى بلاطك. انه فارس من «كورنيش» وهو ابن اخت «مـارك» ملك «كـورن وول» تحت سلطان جلالتكم، واسمه «ترسترام من لايونيس».

قال لانسيلوت: صـادفته مـرة وكان يصـارع بالسيف فرسانا معروفين في الطاولة المستديرة. هم الفارس «لاموراك» والفارس «سيفرا مور» وغلبهما. وانا وهو معا تبارزنا فحطمنا بيننا رمحا ـ واعترف هنا به انه احسن فارس تصارعت معه

حتى الآن.

قال الملك ارثر: سنبعث الى «كورن وول» ونأمره بالقدوم الى بلاطنا.

فانا واثق انه هو من تحدث عنه «ميرلين» بقوله انه سيحتل هذا المقعد عما قريب، ويجلب نصراً عظيماً لـ «لوغريس».. ولكن هنا، كما يخيل الي، تبدأ المخاطرة لهذا اليوم، وبدونها لن نعود الى الوليمة.

بعد ان تكلم الملك، سمعوا فجأة من بعيد في الخارج الحان قيثارة حزينة عذبة، واخذت الموسيقى تقترب منهم - موسيقى حزينة عذبة لم يسمع احد من الحاضرين مثلها، كما لم يمتنع الكثيرون عن ذرف الدموع على خدودهم.

بعد ذلك جاء المغني الى الصالة، كان انسانا رائعا، طويلا وعريضا ونبيل المنظر، اسود الشعر، اسود العينين، له من الجلالة ما يمكن ان يصبح معها ملكا. ومع ذلك فهو يرتدي ملابس متواضعة كما يرتدي عادة المغنون المتجولون. وحين انحنى امام الملك ارثر، اخذ مجلسه على مقعد واطيء قرب الباب.

«تعال الى هنا ايها المغني المجيد» قال ارثر، حين زال عنه بعض تأثير الموسيقى السحرية واعزف لنا ثانية، وانشدنا افعال الشجاعة، لنبلاء الفرسان والسيدات الفاتنات، ففيهم تبتهج قلوبنا. من اين قدمت؟

«من كورن وول ايها الملك النبيل» اجاب المغني.

«هل سمعت باخبار السر ترسترام من ليونيس؟»

«نعم، ياارثر النبيل، وانا غالبا ما رأيته» قال المغني. «وقصتي ساغنيها لك: قصة حزينة وصادقة، كما ستسمعها». احتسى النبيذ الذي قدم اليه في كأس قرني فخم، وشرب نخب الملك ارثر، وبدأ يقص قصته الشعرية البسيطة، وهو جالس على مقعد واطيء الى جنب عمود ضخم، «كان تارة يحكيها حكاية وتارة يغنيها» على انغام القيثارة الحزينة العذبة.

القصة تحكي انه في لايونيس عاش ملك وملكة: كانا سعيدين في معاشرتهما لبعضهما البعض، الى ان جاء في احد الايام عدو غازيا ارض «ريفالين» الملك ليتركها قاحلة بالنار والسيف. قاومه «ريفالين» بكل رجاله، الا انه قتل في المعركة، وحكم «مورغان» الشرير ارضه، وبحث مورغان عن الملكة، الا انها كانت قد فرت الى الغابات، ومعها تابع امين يسمى «راول». وهناك وفي الغابات ولدت الملكة طفلا، وهناك ماتت ودفنت. ولكن قبل ان تموت سلمت الطفل الى «راول» وهي تقول:

«ايها الحارس الامين، احفظ الامانة لسيدك المتوفى ولسيدتك التي في الحال ستموت، خذ طفلي وسمه «ترسترام» لانه في الحزن ولد، ربه بعناية واحرسه كأنه ولدك، فقد ينتقم

لنا في يوم ما ويحكم في لايونيس مرة اخرىٰ. وحين يشب رجلا، دعه يبحث عن معونة اخي، الملك مارك ملك كورن وول».

اخذ راول الصبي، ولم ينشأ طفل بحنان وحب والـدين اكثر مما أنشأه راول وزوجته، وحين شب علمه كـوردينال الحكيم اشياء كثيرة: العزف على القيثارة، ولعب الشطرنج، واستعمال السيف والرمح، وركوب الخيل واخذه الى بـلاد اجنبية كثيرة ليتعلم لغات أهلها.

وحين اصبح ترسترام شابا يـافعا، صـادف ان جاءت سفينة من النروج الى لايـونيس للتجارة، وتحـدث التاجـر حديثا طيبا مع راول، واحتفي به احتفاء عاطفا. ولكن كان ينظر باستمرار الى ترستـرام واخيرا دعـاه الى المجيء الى السفينة ليلعبا الشطرنج على ظهرها. وجاء ترسترام وغلب التاجر في كل لعبة لعباها. ولكن بينما كانا يلعبان حل البحارة مرساة السفينة بسكون، ونشرا الاشرعة البيض وانسلوا في البحر، ينوون ان يبيعوا ترسترام عبداً لقاء مال كثير.

هبت عاصفة عاتية، دفعت السفينة امامها تسعة ليـال وايام، وخاف من كان على السفينة خوفاً شديداً على حياتهم، بعد ذلك تذمر البحارة غاضبين يقولون بان لعنة قد حلت بهم جزاء سرقتهم ترستـرام، واذعن التاجـر لهم واطلق سراح ترسترام، وانزله الى الشاطىء في اقرب ارض صـادفتهم، وحدث ان تلك كانت بلاد كورن وول. ونزل «تـرسترام» الى

الساحل وهدأت العاصفة واشرقت وسطعت الشمس ثانية.

في كورن وول، جاء في الحال الى بلاط الملك مارك في «تنتاجيل» وهو يجهل ان مارك هو خاله ـ فقد كان لا يزال يعتقد ان «راول» هو ابوه الحقيقي.

اكرم الملك مارك وفادة التائه، وقام «ترسترام» بخدمته على احسن وجه بحيث قدمه الملك ليكون اقرب واوثق مستشارله. وجاء بعد ذلك راول، يبحث في الدنيا الواسعة عن ربيبه المفقود فوجد ترسترام مع الملك مارك، ورأى انها حكمة الله اقتضت مثل هذه الشؤون.

حين عرف مارك بان ترسترام هو ابن اخته اعلى من شأنه، وعاشا في سعادة. وحدث ان ارسل مارك جيوشه تحت قيادة «ترسترام» الى ليونيس فقتل مورغان الشرير، لكن ترستام نصب راول حاكما على ليونيس، ولو انه الحقها بمملكة مارك، اما هو فقد عاش في «تنتاجيل».

في احد الايام لدىٰ حضوره الى البلاط وجد الجميع حزينين مكتئبين، وكان يتربع فوق مجلس الشرف «السرمار هولت» الذي جاء من «غورمان في ايرلندا» وكان ملك ايرلندا يطلب جزية من مارك الذي قهر في معركة. وكانت الجزية ثلاثين فتى من اصل نبيل يرسلون ليكونوا خدماً في البلاط. والا لابد لفارس ان ينازل «مارهولت» ويقتله. ولكن لم يشأ احد ان يدخل المعركة، اذ لم يكن يوجد اقوىٰ من مارهولت في

الدنيا.

صاح ترستـرام: «العار لكم جميعـا، اتدعـون انفسكم رجالا، وانتم تبيعون اولادكم عبيدا»؟

قال الملك مارك: «ولكن يا ابن اختي، لاشيء غير هذا يمكن ان نفعله».

صاح ترسترام تستطيعون ان تقـاتلوا، ارفضـوا دفع الجزية، وقاتلوا «غورمان» الايرلندي الطـاغية - أو دعـوا فارسا منكم يقاتل هذا المدعي المتبجح السر مارهولت.

«ولكن لم يجـرؤ احد عـلى المنازلـة وضحك مـارهـولت ساخراً.»

صاح ترسترام ورمى بقفازه في وجه السر مارهولت وقال: «انا سأقتلك ياكلب ايرلندا الوحش» وبهذا لم يعد من الممكن الانسحاب بشرف.

«كـانت المبارزة ستبـدأ في جزيـرة صغـيرة بعيـدة عن الشاطيء في كورن وول، وبالسيوف فقط، ووحدهما ولا من رقيب. وصل مارهولت اولا في زورق صغير ارساه في الشاطىء لكن ترسترام دفع زورقه فجرفته الامواج بعيدا.

قال مارهولت: «ماذا تفعل ايها الطفل البريء، ستحتاج الى زورقك حين تريد ان تهرب مني»

قال ترسترام «لقد جاء اثنان من الاحياء الى هذه الجزيرة، ولا يغادرها غير حي واحد فقط».

ضحك مارهولت وسل سيفه، وسل ترسترام سيفه ايضا، وتقاتلا طيلة يومهما، ووجها الى بعضهما البعض ضربات مؤلمة. جرح مارهولت ترسترام في احد المرات، جرحا بليغا في فخذه وضحك وقال «في هذا سيكون موتك، لان في سيفي دهاقا سحريا وقليل هم الذين يستطيعون شفاء مثل هذا الجرح».

«بعد ذلك هجم ترسترام عليه يضراوة صائحا: ايها الفارس الخداع اللئيم، هذا هو جوابي» وشق بسيفه خوذة مارهولت عميقا الى جمجمته وتثلم سيفه، تاركا قطعة منه في الجرح. وسقط مارهولت على الارض، يعالج سكرات الموت مستسلما لترسترام.

في ذلك المساء وضعه رجال من ايرلندا على ظهر سفينة وابحروا الى وطنهم في دبلن يغمرهم الحزن.. مات مارهولت رغم كل ما بذلته اخته الملكة «ايسود». وكانت امهر امرأة في شفاء الجروح ـ الا انها سحبت من داخل جرحه شظية من فولاذ واحتفظت بها في سلة، مقسمة ان تنتقم من الذي سدد لاخيها الضربة.

«ظل ترسترام طريح علة في تنتاجيل، ولا احد يقدر على شفاء جرحه، واخيرا قال له حكماء قومه ان في ايرلندا شفاءه اذ من هناك جاء السم والملكة «ايسود» وحدها من يقدر على دمل الجرح.

«ذهب ترسترام الى ايرلندا متنكرا، وتسمى باسم

«ترامتريس» المغني وكان يغني غناء جميلا بحيث ان الذين عثروا عليه جاءوا به الى البلاط. وكان لغورمان وايسود اذ ذاك ابنة واحدة هي اجمل حسناوات الآنسات في العالم وكان اسمها «ايسولت» كان الجميع يتحدثون عنها في جميع انحاء العالم بأنها «ايسولت الحسناء» ـ وحقا لم يكن هناك أجمل منها في جميع البلدان في العالم. رغب الملك غورمان كثيرا ان تتعلم ابنته العزف على القيثارة، ولم يكن اذ ذاك في ايرلندا من هو ماهر حاذق بما فيه الكفاية لتعليمها. وسمع عن ترامتريس المغني، وقد امتدح عزفه على القيثارة كل الناس فارسل في طلبه. وجيء بترامتريس محمولا في محفة وقال للملك جُرحي هذا احدثه بي قراصنة، حين كنت مسافرا الى ايرلندا، وكنت قد سافرت مع تاجر بسفينة مليئة بالبضائع وتغلب علينا قراصنة البحر بعد قتال، وقتلوا جميع من على السفينة، ولكنهم ابقوا علي بسبب عزفي الرائع على القيثارة، ثم اطلقوني في زورق صغير مع طعام وماء، بعدها عثر علي قومك حين سبحت بزورقي قرب الشاطىء الايرلندي.

عالجت الملكة ترامتريس المغني، بحيث اندمل جرحه واخذت حاله تتحسن يوما بعد يوم، الى ان استعاد صحته تماما. كان يقوم بتعليم «ايسولت الحسناء» العزف على القيثارة، والغناء يوميا، وحرك جمالها قلبه ـ ولكنه كان يقدم افعال الفروسية والسلاح والصيت الحسن على الحب ـ لذلك

لم يتودد اليها..

لبث ترسترام مدة عام غير معروف على حقيقته في ايرلندا، وفي آخر العام ابحر عائدا الى لايونيس في مملكة كورن وول وقدم على الملك مارك في تنتاجيل. ولكن الملك كان قد سمع بايسولت الحسناء، وحين تحدث ترسترام عنها، تحرك قلب جلالته، واجتمع الى مستشاريه وقال لهم: «ليس لدى الملك غورمان اي ابن، افلا يستحسن لكلا بلدينا ان يعقدا بينهما سلاما ثابتا، واتخذ انا ايسولت الحسناء زوجا لي».

رأى النبلاء ذلك امراً حكيماً حقا. وسألوا: «ولكن كيف يتم تنفيذ هذا؟، فغورمان ملك ايرلندا وايسود ملكتها يبغضاننا لاننا قتلنا مارهولت ويكرهاننا ايضا لتمنعنا عن دفع الاتاوة، فكيف سنحصل على يد الاميرة ايسولت؟»

«اجاب مارك : لقد فكرت في ذلك ، ولابد من ايجاد سبيل ، ونظر صوب ترسترام ، وتهامس النبلاء فيما بينهم ، فقد كانوا يغارون من ترسترام ، يخشون ان يكون هو الملك القادم في كورن وول اذا لم يكن لمارك نسل . وعرف ترسترام بهذا ، لاجل ان يبرهن لهم على عدم وجود مطامع لديه بملكية كورن وول ، نهض وقال «يا خالي ، ايها السادة في كورن وول ان هذه لمغامرة حقا ـ ولكن ساقوم بها مع ذلك . فقد سبق مرة ان كنت في ايرلندا ، وهناك شفتني الملكة من جرحي ولو انها تكن لترسترام من ليونيس كرها ابديا وتطلب الانتقام منه .

«سافر ترسترام في سفينة صغيرة متنكرا بصحبة ثلاثين رجلا ، ووصل الى ايرلندا بسكون الليل وارسى سفينتـه في مأوى هادىء . وقال لصديقه الوفي «كـروينال» الـذي كان يرافقه: اننا تجار ، وان قبطاننا قد نزل الى البر ليتساوم مع تجار ايرلندا»

«في ذلك الوقت كان في ايرلندا تنيّن ، وحش مخيف يلتهم الناس ويخرب الارض وقد وعد الملك غورمان بأن من يقتل التنين يمكن ان يتخذ ابنته ايسولت الحسناء زوجا له . سمع تـرسترام بهـذا ونزل الى السـاحل في تلـك الليلـة شـاكي السلاح ، واخذ يبحث عن التنين بين عاليات الصخـور في الوادي المحروق . وفي الصباح الباكر حين ارسلت الشمس اشعتها الحمراء الى باطن الوادي ، كأنها الدماء تجري بين الصخور ، شاهد ترسترام ثلاثـة فرسـان ، يتبع احـدهم الاخر ، يَجتازون الممر وينحدرون نحو عرين التنـين . وفي الحال سمع فحيح التنين ثم صرخات من رجال في نزع الموت ، ثم دخانا يتصاعد من بين الصخور ، بعد ذلك شاهد رجلا يسير على بعد وراء الفرسان قد عاد راجعا من حيث اتى على حصانه وهو يلكزه ليغذ السير . كان ذلك هو قهرمـان الملك غورمان ، وكان فارساً جباناً متبجحاً ، لم يجرؤ على مواجهة التنين ابدا ، ومع ذلك كان يتباهى بانه ركب مرات عديـدة للبحث عنه .

«هبط ترسترام بهدوء الى بطن الوادي ، واخيرا شاهد التنين معتليا احد الفرسان الذين كان قد قتلهم . كان وحشا مرعبا ، له براثن كبيرة تلمع وحراشف زرق وخضر ، وفكان تنفثان النار والدخان من بين اسنان بيض حادة . شرع ترسترام رمحه وفاجأ التنين بالهجوم عليه ، وكان ترسه امامه يحميه . استدار الوحش نحو صوت الحوافر وتحفز ليمسك به بفكين مفتوحين وصوب ترسترام رمحه بدقة بحيث ان الرمح نفذ في فم التنين واخترقه عميقا الى القلب . قفز ترسترام الى الامام فوق رأس التنين ، ولكن الوحش قتل الحصان وهو يصرخ غاضبا ، بنفثة من ناره وشرع يبتلعه . غير أن الرمح ولو ان قبضته الخشبية كانت بارزة الى الخارج ، كان قد اندفع عميقا في اعماق الوحش ، فهرب يصرخ بين المنخفضات الصخرية تاركا الحصان نصف مأكول .

«تبعه ترسترام ماشيا وصادفه في رأس الوادي . واحتدم بينهما الصراع ساعة ، وكان - ترسترام يحتمي خلف الصخور والا لدمره اللهب ، المشتعل . جرحه عدة مرات ، لكن لم يستطع قتله ، غير ان رأس الحربة قد اندفعت قريبا من قلبه ، وهكذا في الاخير انطرح حزينا مكتئبا . بعد ذلك اندفع ترسترام الى الامام وجرد سيفه وطعن به التنين ، وهكذا مات التنين ، ولكن كان وهو ميت يبعث انفاساً وسموماً

محرقة نحو ترستران بحيث ان ترسه ذاب وسقط من يده ، كما سقط هو نفسه على الارض نصف متسمم من انفـاس التنين» .

«زحف نحو التنين الميت وقطع لسانه ، ووضعه في كيس الى جانبه واخذ يبحث عن السبيل للخروج من الوادي ، الا ان السم غلبه فسقط في غيبوبة عميقة مطروحا كالميت .

«بعد ذلك جاء القهرمان الكذاب بهدوء الى الوادي ورأى التنين مطروحا ميتا ، ورأى ترستران ميتاً ايضاً او هكذا كان يبدو . قطع ذلك الفارس الجبان رأس التنين وربطه في سرج الحصان واسرع نحو بلاط الملك غورمان وصـاح . سيدي الملك . انظر لقد قتلت التنين . فانجز وعدك وزوجني ابنتك ايسولت الحسناء »

«تضـايق غورمـان ، وهو يشعـر شعوراً صـادقاً بـأن القهرمان الجبان لم يقتل التنين .» ومع ذلك فها هـو رأس التنين معه ، ولم يعـرف كيف يستفسر عن كيفية حصـول الحـادث . «جاءت ايسـولت الحسناء الى امهـا مغرورقـة العينين بالدموع وقالت للملكة افضل ان اقتل نفسي على ان اتزوجه»

«قالت الملكة ايسود لم تصل الامور الى هذا الحد ، حتى الان وانا متأكدة بان القهرمان لم يقتل التنين».

«في تلك الليلة قصدت كلتاهما الموقع ووجدتا هناك التنين

ميتا ، مقطوع الرأس ، مرعبا تحت ضوء القمر . كما وجدتا ايضا ترسترام مطروحا في غيبوبة عميقة» .

«صاحت ايسولت متعجبه» : انظري هنا يضطجع ترامتريس المغني ، ولا ادري احي هو ام ميت . انه مرتد درع فارس وان ترسه قد ذاب وسيفه ملطخ الى مقبضه بدم التنين الاسود ..

«امرتا بنقل ترسترام سراً الى القصر ، وعالجته الملكة بمهارتها وحذقها في المداواة بحيث انتبه من غيبوبته بعد وقت قصير وقص عليهما كيف قتل التنين ، واراهما الدليل وكان اللسان الذي كان قد وضعه في كيس .

قالت الملكة ايسود «قل لي يا ترامتريس من أين جئت الى ايرلندا ، ولماذا نازلت التنين ؟»

اجاب ترسترام: «جئت بصفتي تاجرا ، وانا اشعر اننا ، اهل كورن وول لسنا محببين لدى الايرلنديين ، ففكرت في ان اعمل معروفاً يقع موقعاً حسناً في اعين هؤلاء السكان بقتلي التنين» .

«سيرد لك المعروف وتمنح السلام الى اخر يوم في حياتك ،، قالت له الملكة ، واقسمت على ذلك ايمانا مغلظة .

«حل اليوم الذي ينجز فيه الملك وعده لمن يقتل التنين ، وجاء القهرمان الى البلاط متباهياً متبجحاً بشجاعته ومتفاخرا بأن ايسولت الحسناء قد صارت له . ولكن الملكة

ايسود نهضت وتحدته وعندئذ جاء ترستترام وناداه بأنه جبان خداع .

صاح القهرمان : «لقد قتلت انا التنين ، وانظروا الى رأسه الذي اقتطعته قبل ان يموت . »

قالت الملكه : «انظروا في فم التنين» ولما وجدوا ان لسانه ليس موجودا ، وانه في كيس ترستترام ، فرح الناس جميعا لهذا البرهان وهزأوا بالقهرمان . الا ان القهرمان جن جنونه غضبا ووصف ترستترام بأنه كذاب ولص وتحداه للمبارزة .

قال الملك غورمان : «ستكون المنازلة بينكما في اليوم الثالث بعد هذا اليوم . «وحين حل اليوم الموعود ، نظرت ايسولت الحسناء بعناية في درع ترستترام وركبها الغم عما سيحدث في هذا اليوم . جردت سيف ترستترام من غمده وفحصته بامعان فشاهدت وهي تفعل ذلك ، ثلمة في حد السيف ، وبخوف عظيم جلبت قطعة الفولاذ التي كانت قد سحبتها من رأس خالها السر مار هولت ـ فوجدتها متطابقة مع الثلمة تماما . بعد ذلك ذهبت بسرعة الى امها وقالت :

«انظري ان ترستترام المغني هذا الذي انقذناه ماهو الا ترستترام من ليونيس والذي قتل مارهولت وهنا تجدين البرهان في السيف الذي ضربه به ـ وبهذا السيف سأقتله الان . »

«غير ان الملكة اوقفتها ، وذهبتا معاً الى ترستترام وتكلمتا

معه . اخبرهمـا عن كل شيء ولم يخف عنهمـا حتى سبب مـجيئه الثاني ، الى ايرلندا».

قالت الملكة ايسود : «دعينا نطمئن تـرسترام ، فـالملك مارك ند نبيل، ورجل شجاع ، وحين لا يساعدنا ترسترام في الامر فسيكون القهرمان زوجا لك» .

وهكذا تحالفوا واقسموا الايمان ، وخرج ترسترام لمقاتلة القهرمان ، ظل يقارعه طيلة ذلك اليوم الى ان قضى القهرمان نحبه تحت وطأة سيف ترسترام ، وهكذا ستكون ايسولت الحسناء زوجة للملك مارك .

استُقبلت سفينة ترستـرام بحفاوة وتشريف ، واعـدت المقصورة لاستقبال ايسولت التي حلت فيها ، كأجمل آنسة في العالم ، ولم يصحبها في سفرها الا صديقتها ومـربيتها المخلصة الأمينة «برانفوين»

«وقبل ان ترفع السفينة شراعها دبرت الملكة مشروبا غريبا وضعته في قنينة نبيذ وسلمته الى السيدة برانفـوين وقالت لها : «انظري ساودع في حفظك الان سعادة ابنتي . حافظي على هذا الشراب كما تحافظين على حياتك ، واعملي على ان تشرب منه الاميرة أيسولت يوم زفافها كما يشرب منه الملك مارك ايضا ، ولا احد غيرهما . لأنه جرعة الحب ، وقوي لا يقوى اي شيء في الدنيا على ابطال مفعوله ، قوي الى درجة انه اذا شرب منه رجل وامرأة معاً فسيحبان بعضهما البعض الى

ان تقوم الساعة حباً اعظم من اي حب في العالم .

اقلع ترسترام من دبلن وسارت السفينة عدة ايام في البحار ، العالية تبحر مختالة خلال امواج المد الربيعي المرحة وتجتاز كطائر حب ابيض الامواج المصطفقة حولها .

كانت ايسولت الحسناء تجلس كل يوم في القمرة وترسترام يعنى بها ، يغني لها قصص كبار العشاق الشعرية وافعالهم الجبارة ، كما يحكي لها عن تاريخ كورن وول - عن ييغرين الملكة وعن ارثر الملك الصالح وفرسانه ، وزهرة الفروسية ومملكة لوغريس الرائعة التي كانوا يشيدونها ويرفعون بنيانها كنور الله البين في ظلام ارض بريطانيا ، الا ان برانفوين لم تبتهج لموجات الرقص بل انطرحت عليلة في قمرة بعيدة منعزله .

«في احد الايام وقد انتهت الاغنية والحكاية وجلست ايسولت تلعب الشطرنج مع ترسترام بقطع مصبوغة بالاحمر وباللون العاجي الابيض في لوح شطرنج من خشب الارز المنقوش ، احست بالظمأ ولمح ترسترام القارورة على بعد موضوعة في علبة في القمرة الكبرى ، وقالت ايسولت ضاحكة :

«لقد جلبتها برانفوين معها لاشرب منها حين يزول عني مرض دوار البحر ، فدعنا نشربها الان ، وحين تقوم هي من فراشها ستجد القارورة فارغة .

«صبا الشراب في اقداح ذهبية ، وهما يجهلان انه جرعة الحب التي استحضرتها ايسود الملكة الحكيمة ، ويجهلان انهما انما يمسكان بايديهما مصيرهما ، ويهيئان لنفسهما كثيرا من البهجة وعميقا من الاسى . ثم وهما يضحكان ، اخذا على بعضيهما العهد بشرب الشراب حتى آخر قطرة منه .

«وعلى الفور استيقظ في قلبيهما حب عارم وبدت الدنيا لهما معتمة امام النور الذي شع الان حولهما كل في عين صاحبه . دخلت برانفوين عليهما وهما يفرغان القارورة ورأت ما حدث . لم تفه بكلمة حول السر لعدة سنين مرت بعد ذلك لكنها والبرد يغمر قلبها رمت قارورة الشراب في البحر العميق . وهي تتأوه متفجعة لمجيئها في هذه الرحلة ، وتتدب بأن في الشراب سيكون موت ترسترام وايسولت .

«كانت الرحلة رائعة في البحار المشمسة، وكانت اشعة الشمس تبدو لهما اكثر اشراقا واشعاعا . لان ترسترام وايسولت اخذا يتحدثان معا عن حبهما العظيم ، وكانا سعيدين لفترة ساعات قليلة من شبابهما يجدانها اكثر سعادة من اي حب منذ ان بدأ العالم . ونسيا وهما ينسابان فوق البحر الازرق ،الاحزان التي كانت تنتظرهما في كورن وول ، نسيا الصراع بين الحب والشرف وتذكرا فقط بان الربيع كان قصيرا وان الحب يراهما شخصا واحدا تحت

ضوء الشمس .

«رست السفينة على ارصفة تنتاجيل، وزفت ايسولت الحسناء لمارك ملك كورون وول. فذلك هو السبيل الوحيد الى الشرف والسلام، يجب على ترسترام ان يدع حبه ويترك شبابه خلفه. فلو انه ابحر بايسولت الى الخارج لما انتهت الحرب بين كورون وول وايرلندا، دون ان تسفك دماء كثير من الرجال ويعم الحزن كلا البلدين.

بقي قليل مما يجب ان يقال، فتراسترام في لايونيس قد قام باعمال مجيدة كثيرة، حتى طبق صيته الافاق في جميع انحاء العالم.. ولكن ظل ابدا يحب ايسولت ملكة كورن وول، وظلت هي ابدا تحبه وتبغض مارك.

وفي احد فصول الربيع انتصر الحب على الشرف، وبحثت زوجة مارك عن ترسترام في وسط الاجام. خرجت للصيد بصحبة برانفرين جاريتها. وكان مارك الذي لم يشك بترسترام ابدا قد جعله على رأس رجال الصيد والقائمين على خدمتها ولكن حالما كان موكب الصيد خلفهما جلس العاشقين وحيدين الى بعضهما على ضفة جدول حيث يظهر ندى الزنابق كالدموع على الحشائش الطرية.

والتقيا ثانية ـ ثم مرات ومرات، وعاد الحب ليكون خوفا وظلاما ووحشية، لان حبا كهذا ليس مشروعا وغير شريف.

ومع ذلك فلا لوم عليهما لان فتنة الحب كانت تغمرهما على الدوام.. كان لديهما. بالتأكيد بعض العذر، في حين ليس بيد الاخرين مثله اذا ما هم حنثوا باليمين.

بدأ يداخل النبلاء، الذين كانوا يكنون لترسترام بغضا الشك حول غرامه، وهمسوا للملك بذلك، لم يصدق الملك ما قالوا مدة طويلة، لأنه كان يحبهما كليهما ويثق بهما، زوجته وابن اخته. ولكن في أحد الايام جاء مارجودو الفارس الذي ركبته الغيرة. واخذ بيد الملك الى حيث يرى ترسترام وايسولت جالسين معا تحت شجرة، متلاصقين على حافة الجدول. وبهذا انتفى لديه اي شك. دعا الملك مجلس شوراه وامر بالحكم على ترسترام بالموت الا ان النبلاء، بالرغم من بغضهم لترسترام لم يقروا ذلك الحكم، اذ لم يكن من هو جبار اكثر من ترسترام، ولا من يصلح غيره لانقاذ كورن وول اذا دعت الحاجة وفي أوقات الضيق. والاكثر من ذلك فان الشعب كان يحبه فاذا اعدم فمن الممكن ان تنشب حرب اهلية.

لذلك نفى الملك ترسترام واخرجه من كورن وول،، بعيدا عن ليونيس ـ بعيدا عن ايسولت الحسناء بحيث تصعب عليه رؤيتها ثانية. وهو الان يتجول في جميع انحاء بريطانيا، باحثا عن راحة لا يجدها، متسكعا منشدا في ملابس مغن، وعلى الدوام منشدا اغنية حبه.

ياايسولت، من جزيرة الزمرد،
عنك ابحث، ميلا بعد ميل
وراء دنيا الحب الكبير،
طائرا ابيض فوق الشراع
ياايسولت، ولو ان الدنيا تقاوم،
فان حبنا لن يبرد
ومادام الشباب والربيع متحققين،
فسنعيش حبنا صابرين.
ياايسولت، في ما يأتي من زمان
سينشد الشعراء قصائدهم
عن حب لا مثيل له يتحدثون،
حب ترستراام وايسولت الحسناء،

توقف المغني عن قص حكايته، وران على جميع الجالسين في البهو الكبير في كاميلوت صمت عميق. ووضع لانسيلوت فقط، رأسه بين يديه وسالت الدموع من خلال اصابعه. لقد فكرني حبه الخاص لجنيفر ملكة ارثر الملك.

قال الملك ايها المغني، كيف حصل انك محيط جدا بمعرفة جميع الاشياء التي حدثت للسرتراستراام اللايونيسي..

ابتسم المغني بأسى ونهض من على المقعد ووقف شامخا نبيلا، امام الملك ارثر وقال.

اعرف ذلك جيدا، وبالصحة ايضا ـ كما يعرف انسان

حزنه الخاص.. لانني انا ترسترام اللايونيسي.

حدثت بعض الدمدمات في الصالة، تعجبا واشفاقا. لكن الملك ارثر نهض من مقعده، ونزل نحو ترسترام وحياه.

قال: «مرحبا بك في كاميلوت، نرحب بك بحق انا وجميع اولئك الذين حول الطاولة المستديرة، لقد حدثنا باسمك ميرلين العراف الحكيم في يوم ايجاد الطاولة ـ انظر. ان هناك مقعدا لك، بجانب لانسيلوت حيث سيكتب اسمك بحروف من ذهب، مرحبا يافارس لونغريس.

وهكذا اصبح ترسترام فارسا من فرسان الطاولة المستديرة، وبعد لانسيلوت وغاوين، ليس هناك من فارس جدير بالجلوس هناك•الا اياه. كان يحضر كل الولائم ليتخذ مكانه في المجلس، وكثيرة هي الاعمال التي اداها للونغريس.

ولكن كان دائم الاسف على حب ايسولت الحسناء على حب مصحوب بحزن لا يشفيه الزمن.

بعد بضع سنوات تزوج من ايسولت اخرى هي ابنة جوفلين دوق اورونديل وكانت تسمى ايسولت ذات اليدين البيضاوين، وقد جلبت له كثيرا من الراحة، وكان حقا لها زوجا شريفا. ولكن قلبه كان يحن دائما الى ايسولت ملكة كورن وول، مما اثار غيرة ايسولت ذات اليدين البيضاوين.

اخيرا جرح ترسترام برمح مسموم حين كان يقاتل لانقاذ كاهيدين، شقيق زوجته. وتقرح الجرح دون ان يندمل.

عندئذ قال ترسترام: ان منيتي تقترب، مالم تجيء ايسولت كورنوول لشفائي، لانها هي وحدها التي لديها المهارة والحذق اللتان كانتا لامها.

لهذا اوعز الى كورنيال الامين ليأخذ سفينة ويبحر بها الى تنتاجيل ليرجو من ايسولت ان تأتي لشفاء ترسترام. فان هي قدمت فعلى كورنيال ان يرفع عاليا شراعا ابيض فوق سفينته اذا هي كانت معه. ولكن عليه ان يرفع شراعا اسود اذا هي لم تأتي.

جاءت ايسولت وكورنيال باسرع ما يمكنهما، ورفع كورونيال شراعا ابيض، غير ان تراسترام كان اذ ذاك طريح الفراش، وضعيفا واهنا بحيث لم يكن يقدر على النهوض لينظر الى الخارج من نافذته. فقال لزوجته:

اذهبي الان وتطلعي نحو البحر، ان سفينة كورونيال ستقترب في الحال من الشاطىء، وعلى ظهرها ايسولت الحسناء، اذا كان الشراع ابيض اما اذا كان الشراع اسود فانها ليست بآتية.

نظرت ايسولت ذات اليدين البيضاوين نحو البحر ورأت سفينة كورونيال تمخر عباب الامواج باشرعتها البيض. ولكن غيرة منها لايسلوت كورن وول وبغضا لها قالت لترسترام:

عجبا ارى الان سفينة كورونيال تمخر عباب الامواج والاشرعة سود..

ادار ترسترام وجهه نحو الجدار وقال: ليحفظك الله ياحبيبتي ايسولت الحسناء، لن ارى وجهك ثانية. ثم توقف عن ان يكافح من اجل ان يعيش. ومات بعد بضع دقائق.

وحين وجدته ايسولت الحسناء ميتا ركعت بجانبه الى ان تحطم قلبها من الحزن، وقضت ايضا نحبها. ودفنا كلاهما في قبر واحد لان ايسولت ذات اليدين البيضاوين ندمت على فعلتها وغيرتها ولكن بعد فوات الاوان.

وعلى القبر زرعت شجرة ورد واحدة حمراء اللون واخرى بيضاء، وحين نمت الشجرتان انحنت احداهما على الاخرى وتشابكت اغصانهما، وامتدتا شجرة واحدة تحمل وردا احمر ووردا ابيض، اذ لم يكن في الدنيا كلها محبان امينان مثل السرترامسترام وايسولت الحسناء.

صقر فيديريكو

ستيفن كورن



عاش مرة في المدينة الايطالية الجملية فلورنسا شاب وسيم يدعى فيد يريكو، كان مشهورا باعمال الفروسية وبكياسته اكثر من اي رجل في المدينة امام النساء.. واحب

فيديريكو ارملة غنية شابة تدعى جيوفانا، واغرم بها، وكانت اجمل امرأة في زمانها. وعلى شرفها وبقدر ما كان يحبها، اقام عدة مباريات ومآدب وتسليات كما بعث اليها هدايا سخية نادرة وغالية. لم تعر السيدة اي اهتمام للرجل ولا لما يقوم به من افعال، الا ان فيديريكو لم تتثبط عزيمته، ولم يفتر نحوها حبه. ومهما كان فقد حل يوم وجد نفسه وقد انفق كثيرا من ثروته على تلك الولائم والمباريات والهدايا بحيث لم يبق من ثروته الا النزر اليسير، كما وجد نفسه مثقلا بالديون. فاضطر على بيع منزله الرائع، وخيوله واصطبلاته، ونزح الى الريف ليعيش في مزرعة صغيرة. وكان من بين ما يمتلك ولم يشأ بيعه، صقرله، وكان من خير الطيور في العالم. وكان يحبه كل الحب.

وحدث في احد مواسم الصيف ان السيدة جيوفانا قدمت لتعيش في مزرعة لها ومعها ابنها الشاب، وكانت مزرعتها تجاورتماما مزرعة فيديريكو المتواضعة. وبين حين وآخر حين كان فيديريكر يتأهب للصيد مع صقره المحبوب، كان الصبي يأتي لزيارته ويلعب مع الصقر.

ومع مرور الزمن تعلق الصبي بالطائر البارع واخبر امه كم هو مولع به وكم يود لو اقتناه.

قالت السيدة جيوفانا «ولدي العزيز، اخشى كثيرا ان يتعذر ذلك. ففيدريكو كان في يوم ما ثريا جدا وهو الان فقير والصقرهو الشيء الثمين الوحيد ظل يمتلكه. ينبغي ان تكتفي

بمشاهدته واللعب معه من وقت لاخر حين يأذن لك فيديريكو بذلك. » ولم يكن امام الصبي من خيار سوى ان يستمع الى كلمات امه الحساسة حول المسألة.

بعد بضعة اشهر سقط الصبي مريضا مرضا خطيرا. وحاول الاطباء، حتى اكثرهم علما وشهرة، كل شيء عرفوه لشفائه، الا انّ جهودهم باءت بالفشل. ظل الولد طريح فراشه، شاحبا شحوب الموت، ونادرا ما يذوق طعاما. وقلما يتكلم. كانت المسكينة جيوفانا تكاد ان تيأس. وكانت تسعد لو انها تبذل حياتها لشفاء ولدها. ولكن احواله اخذت تسوء اكثر فاكثر واخيرا يأس الاطباء من شفائه.

في صباح باكر من احد الايام، وكانت تجلس شاحبة مرهقة الى جانبه طول الليل، انحنت جيوفانا على ابنها وهمست له بما يشبه الهذيان :

«ولدي المسكين ارجوك ان تشفى من اجلي . فانت كل ما لدي في الدنيا . ماذا افعل من اجلك لاجعلك قوياً ثانية ؟ اعدك اني ساحصل على اي شيء ترغب فيه في الدنيا».

«تحرك الصبي العليل في فراشه ودمدم «امي ... صقر فيديريكو ... اظن ... لو ان لدي ذلك الصقر لشفيت بسرعة».

اجفلت السيدة جيوفانا . لقد كانت تعرف كل شيء عن ذلك الصقر الشهير ، كم يحبه فيديريكو وكم تعلق به ابنها . كانت

تعرف كم احبها فيديريكو في الماضي وكيف انفق جميع ثروته تقريباً محاولا ان يكسب ودها الا انها لم تمنحه اي قبس من امل او تشجيع .

ساءلت نفسها «كيف اكون هكذا حقيرة ؟» بحيث اطلب منه الان ان يفارق الشيء الذي يحبه اكثـر من اي شيء في العالم الا ان نظرة واحدة الى وجه ولدها الذاوي طردت من فكرها كل تردد وشك. همست له منحنية فوقه اجل يا بني، سأذهب الى فيديريكو غداً صباحاً واعود لك بصقره . ابتسم الصبي ابتسامة ضعيفة وأخذته سنة خفيفة من النوم.

توجهت في اليوم الثاني الى مزرعة فيديـريكو الصغـيرة ترافقها جارية لها . وجدت فيديريكـو يعمل في حقلـه وسر سروراً كبيراً لرؤية جيوفانا وقال : «لقد شرفتني يا سيدتي العزيزة لزيارتك بيتي، اهلاً بك ومرحبا، انت وصديقتـك . لكنه في سريرته لم يقاوم تعجبه من هذه الزيارة غير المتوقعة من امرأة احبها كل الحب .

قالت السيدة جيوفانا : «ارجو أن تعذرني من هذه الزيارة دون اعلامك عنها . اعلم انني عاملتك معاملة فظة في الماضي واود ان اصلح الامر ببعض سلوك صغير .» وترددت ثم قالت «هـل يمكنني انا ورفيقتي ان نتنـاول لديـك الغـذاء هـذا اليوم ؟ .» قال فيديريكو بحرارة «سيدتي العزيـزة، لست داريا بأنك قد عـاملتني الا باعظم اللطف، ان ثـروتي كما

تعلمين قد نفدت، ولكني كم اود لو اني انفقها مجددا ثانية من اجل مسرة تناول الغذاء برفقتك».

قادهما بعد ذلك الى المنزل وطلب منهما ان يجدا نفسيهما في دارهما بينما يهيىء لهما الطعام.

جرى نحو المطبخ، ليجد الخزانة فارغة، لم يكن يوجد اي طعام في مخزن اللحوم . ودب فيه اليـأس. كم حن الى تلك الايام الماضية حين كان في وضع يقيم فيه عدة ولائم على شرف جيـوفانـا. ولكن الامر جـاء متـأخـراً. ولا ينبغي أن يبقي السيدتين تنتظران، وفجأة وقع بصره على صقـره الجميل جاثما في حجرة صغيرة ملحقة بالمطبخ. «سيكون الصقر طبقا لذيذاً لدى اية سيدة.» فكر بحزن ثم بدون هياج يغالب دمعه، امسك به ولوى عنقه. نادى ابنة الفلاح من الباب المجـاور وطلب منها ان تنتف ريش الطائر وتسلكه في سفود لشيه من اجل الغداء. بعد ذلك نصب المائدة – وطرح فوقها شرشفا ناصع البياض وذهب يدعو السيدتين الى غداء متواضع قد هيء وينتظر رضاهما.

جلس الجميع الى المائدة حيث لعب فيديريكودور المضيف بفتنة ووقار. لم يداخل السيدة جيوفانا ولا بالطبع رفيقتها ادنى شك بنوع الطائر الذي كانا يتلذذان بتذوق طعمه.

حين انتهى الغداء شكرت السيدة جيوفانا فيديريكو على ضيافته السخية ، وساروا فجلسوا في الحديقة يتحدثون.

قالت جيوفانا «بعد كل لطفك يمكن ان تعجب من ان تكون لدي الوقاحة لاطلب منك تفضلا آخر اكبر. واظن انك متأكد الان بأني قد اتيت الى هنا لغاية خاصة .» نظر فيديريكو الى وجهها الجميل باندهاش متوقع. قالت «تعلم ان لي ولدا، وهو عندي اعز شيء واثمنه في العالم. وانت تعرفه جيدا فهو يأتي الى هنا غالبا وباستمرار يصاحبك في الصيد . انه جد مولع ومعجب بك. وهو الان عليل بعلة خطيرة ولا شيء هناك مما يستطيع الاطباء فعله من اجله ولكن هناك شيئا واحدا يمكن ان يساعده، وانا كأم من واجبي ان احصل له عليه. اني اتحدث عن صقرك الجميل. وانا احس بعار كبير من طلبي هذا، ولكن اذا استطعت انقاذ حياة ولدي باعطائه اياه، فلن انسى لك ذلك مطلقا.»

صمت فيديريكو لحظة مع فزع وذهول.

في الاخير قال: «سيدتي العزيزة جيوفانا، ان ما قلته الان جعلني اكثر الناس حزنا على وجه الارض. لا شيء في الدنيا لا اقوم بفعله من اجلك واجل ولدك. وهذا الشيء ولو أنه يبدو بسيطا الا انني غير قادر على فعله ..»

نهضت السيدة جيوفانا وقالت «افهم ... ليس من حقي ...» غير ان فيديريكو قاطعها بسرعة «اجلسي ارجوك، ياسيدتي العزيزة دعيني اوضح.» واستمر يتحدث وصوته يتهدج «حين شرفتني بالشرف العظيم بالمجيء لمشاركتي في

تناول الغذاء كنت على حافة اليأس ، الا ان خزانة اللحوم معي لم تكن تحـوي شيئا ذا قيمـة امامـك، حينئذ فكـرت بصقري. لقد كبر رائعا وسمينا، قلتُ في نفسي، لابد ان يكون طبقا لذيذا. وبذلك الاعتبار ، في الاقل . آمل الا يخيب ظنك بي .» (قال هذه الكلمات الاخيرة بابتسام مرير) . بعد ذلك نادى على ابنة الفلاح لتأتي ببقايا الصقر المثير للشفقة .

دهشت السيدة جيوفانا :«كيف سمحت لنفسك ان تقتل طائرا مهما كهذا ، طائرا انت وولدي متعلقان به .» ولكنها في سريرتها فكرت «ما انبل هذا الرجل . وما اكرمه، وما اشد عواطفه نحوى واعمقها . كيف انسى هذه الايماءة الشجاعة. وكيف اردها له».

بعد ذلك ودعته مكتئبة حزينة وشكرته على الشرف الذي غمرها به، عادت الى ولدها فارغة اليدين ، عاجزة عن اخباره بفشل سفارتها، غمغمت ببعض العذر الواهي عن تأخر معين لوصول الصقر، ولكن صوتها تعوزه الثقة بكلماتها بحيث ان الصبي المسكين لم يجد من الصعب عليه تخمين الحقيقـة وبعد يومين فارق الحياة.

بعد بضعة اشهر من حزن لاعـزاء له وجـدت جيوفـانا نفسها، وحيدة في مقاطعة اوسع مما تستطيع ادارتها . وراح جميع اصدقائها يقنعونها بأن تتزوج . طردت الفكرة في البدء ساخرة ولكنها قالت اخيرا لابعادهم عن الفكـرة . «حسنا،

ياصدقائي، اذا كان لابد من ان اتزوج، فليكن ذلك فيدريكو، لأنه لا يوجد اروع وانبل منه في الدنيا.» دهش اصدقاؤها، «لماذا ؟» قالوا مندهشين «ذلك الانسان الفقير الذي لا يملك فلساً واحداً ليبارك به نفسه. ستتزوجين اذن نبيلا متسولا.»

اجابت بتحمس: «اعرف ذلك حق المعرفة، ولكن افضل ان اتزوج رجلا لا مال له على ان اتزوج مالا دون رجل حقيقي. انه فيديريكو او لا احد».

وبعد اسابيع قليلة تزوج فيديريكو جيوفانا ووجدا الراحة والمسرة احدهما في الاخر وعاشا سنين كثيرة في سلام وسعادة.

السيدة غوديفا

ستيفن كورن



مدينة كوفترى احدى اكبر المدن الصناعيـة ، مشهورة بمنتجاتها من السيارات والدراجات البخارية والطائرات ، وكذلك بكاتدرائيتها الرائعة .

وكانت منذ تسعمائة سنة خلت اكثر اهمية، لأنها كانت رابعة اكبر مدن بريطانيا . فلم تكن مدينة اكبر منها سوى لندن وبرستول ويورك . وكان يحكمها رجل قوي جدا يدعى ليوفريك ، كان يعيش في قلعة فخمة فيها عدد كبير من الحراس والخدم من جميع الاصناف وكانت كوفتري حتى في تلك الايام مركز عمل وتجارة للبضائع الصوفية والجلدية والصابون.

الا ان معظم سكانها كانوا فقراء بؤساء وكان ليوفريك يجبرهم على دفع ضرائب فاحشة لاجل ان يظل هو في بجبوحة من العيش في قلعته . وكانت زوجته السيدة غوديفا شقية لهذا ، ولكن لم يكن في وسعها ان تفعل شيئا .

في احد الايام وفي نهاية احد الاشهر حيث كان ليوفريك قد انفق اكثر من حصته المعتادة على الخيول والكحول واللحوم . قرر فرض جباية ضريبة اكثر على اولئك السكان الكثيري المعاناة في كوفتري .

وحين سمع الناس بالنبأ اجتمعوا مزدحمين حول قلعته يتوسلون اليه ان يرفع هذه الزيادة في الضريبة عنهم . وكانت السيدة غوديفا ترقب الوضع من نافذة في الاعلى ، وتشاهد النساء والاطفال في اسمالهم البالية شاحبين هزيلين ، والرجال كالحين غائري العيون وكانت تشاهد الحراس في الاسفل يطردون الناس بوحشية وتحققت من ان زوجها لا

يبدي مثقال ذرة من الاهتمام بما حصـل لعامـة الناس في كوفترى .

هبطت الى الاسفل على عجل وتوجهت نحو زوجها مندفعة بقوة حيث كان يتشاور مع احد رجال حاشيته ويقـول له : واحرص على ان تجبي هذه الضريبة فورا .

بعد ذلك التفت نحو غوديفا وقال وما معنى هذا أرجوك يازوجتي ؟

انت تعلمين ان لا شيء يزعجني حين اكون ابحث في امور مالية مهمة هنا مع «غودفري» .

قالت السيدة غوديفا : «يجب ان اتحدث اليك يا سيدي».

نظر ليوفريك الى زوجته الحسناء وسالها بلين ورقة مـا الامر ؟.

اجابته زوجته وعيناها الزرقاوان الواسعتـان تملأهمـا الرحمة : كنت اشاهد اولئك التعساء البؤساء ، الجائعين من نافذتي ، وانا اعلم ان سيكون من المستحيل عليهم دفع هذه الضريبة الجديدة .

حملق ليوفريك بها ، ثم ابتسم وقال : ارجوك ان تعودي الى تطريزك ايتها الزوجة العزيزة ، ان هذه الامور ليست من شؤون المرأة.

لكن غوديفا قالت ملحة : ولكنها من شؤوني انا ، فهؤلاء الناس السيئو التغذية الرثو الملابس هم مواطني ، ولا اطيق

احتمال محنتهم الشقية .

قال ليوفريك ، كفى كفى ، فانا مشغول فاتركينا ارجوك !

ركعت غوديفا على ركبتيها وقالت «سيدى وزوجي العزيز ، سافعل أي شيء تطلبه اذا انت أعفيت هؤلاء الناس من هذه الضريبة المرهقة .

كان ليوفريك ينظر شارد الذهن في وثائق منشورة امامه على المنضدة ، ولكنه استدار بشدة حين سمع كلمة أي شيء .

سألها «هل قلت أي شيء» ؟

اجل ياسيدي .. أي شيء

قال : حسنا اذن فاذا انت ركبت حصانا عارية وطفت به خلال الشوارع في كوفتري فلن الغي هذه الضريبة فقط ، بل ساعطيك ثلاثة اكياس من الذهب لتوزعيها على الفقراء .

نظرت السيدة غوديفا مرتاعة وعيناها مغرورقتان بالدموع . نهضت من ركوعها واسرعت نحو الباب ثم استدارت ونظرت الى ليوفريك محدقة في عينيه ثم تركت الغرفة . ذهبت بعد ذلك الى غرفتها وحررت الرسالة التالية :

ياسكان كوفتري غير السعداء .

اعرف كم احزنكم نبأ الضريبة الجديدة وفي وسعي الان ان اخبركم بأن الضريبة ستلغى على شرط ان اركب حصانا عارية اطوف به خلال شوارع مدينتنا .

ومن اجلكم اخبرت سيدي وزوجي ، بأني حاضرة لفعل

هذا . وقد اتخذت هذا القرار المؤلم لانني واثقة بأن مواطني كوفنتري سيحترمون حشمتي . لهـذا اطلب منكم ياشعبي العزيز بأن تبقوا داخل البيوت صبـاح الغد بـين العاشرة والثانية عشرة وان تسدلوا ستائر نوافذكم .

وقعت الرسالة بكلمة غوديفا وارسلتها مع رسول امرته بـأن يرى ان كـل رجل وكـل امرأة وكـل طفل قـد عـرف محتوياتها .

في الصباح التالي أمرت بأن يؤتى بحصانها الابيض الى القلعة في الساعة العاشرة ونزعت على انفراد دبابيس شعرها من ضفائرها الطويلة ثم تعرت وسقط شعر ضفائرها عـلى كتفها ونزل ليغطي اكبر جزء من جسمها .

تـوجهت نحـو البـوابـات وامتطت حصـانهـا الابيض وانطلقت به في شوارع كوفنتري .

كان اذ ذاك سكون مهيب يلف المدينة ، وكان كل واحد في داخل بيته وجميع النوافذ مغلقة والستائر مسدلة .

هل قلت جميع النوافذ ؟

حسنا كان الامر كذلك ما عدا نافذة بيت واحد حيث يقيم خياط يدعى «توم» لم يقاوم حب استطلاعه فوارب نافذته لكي يرى تلك السيدة الشجاعة .

واخيرا اصبح هذا الخياط معروفا في جميع انحاء العالم بـ(توم المتلصص) ....

حتى ان هناك اسطورة تقول بأنه اصيب بالعمى للتـو وفي الحال عقوبة له على فضوله. كانت غوديفا راكبة بهدوء خلال المـدينة ووصلت عـائدة الى قلعتهـا في وقت دقت الكنيسة اجراس الظهيرة .

كان السيد ليوفريك قد امتلأ اعجابا بشجاعة وكرم زوجته بحيث لم يف بوعده فحسب بالغاء الضريبة ومنحها ثـلاثة اكياس من الذهب للفقراء ... بل صمم منذ ذلك اليوم على معاملة رعاياه معاملة أقل خشونة .

اما السيدة غوديفا ، فان اهل كوفترى يذكرونهـا حتى يـومنا هـذا ويحتفلون بعملهـا الشجاع كـل عـام بـأبهـة ومهرجانات .

ويمكنك ان تشاهد في احد بيوت كوفترى القديمة تمثال رجل يتلصص خلال احدى النوافذ .

بروميثيوس

ستيفن كورن



كان زمن لم تكن فيه آلهة ثم اقترن «اورانوس»، بغايا ـ السماء ، والارض ـ لينجبا الجبابرة ، آلتيتان ـ الالهة التي تولت زمام السلطة قبل زيوس ، والهة الاولمب الاخرين . من

هؤلاء الجبابرة ستة كانوا هائلي المنظر بشعين ، ثلاثة كان لكل واحد منهم خمسون رأسا ومائة يد ، وثلاثة عمالقة كان لكل واحد منهم رأس واحد ولكن بعين واحـدة ـ بحيث ان اورانـوس نفاهم الى ظـلام ابدي في تـارتـاروس ـ العـالم السفلي .

غير ان كرونوس ، اصغر ابناء اورانوس انتزع السلطة من ابيـه ، وجعل نفسـه حاكم السمـاوات وتزوج تيتـانه (جبارة) اخرى تسمى «رهي» ولعن كل من غايا واورانوس كرونوس لقيامه بهذا العمل . قائلين بأنه في يوم ما سينتزع منه السلطة احد ابنائه . وكانت هذه اللعنة عذابا مستمراً لضمير كرونوس ، بحيث صار كل ما ولدت له (رهي) ولـدا ابتلعه ، لئلا تتحقق تلك اللعنة وحين تقرر مصير خمسة من أبنائهما بهذه الطريقة قررت (رهي) بأن ذلك يكفي . وقبيل المخاض بولدها السادس خبأت نفسها في كهف ، وحين ولدت اودعت الـوليد الجـديد «زيـوس» ،، الى حوريـات الجبـل لارضاعه . ثم وجدت صخرة ناعمة كبيرة لفتها بأقمطة واتت بها تقول لكرونوس انه ابنها الاخير ، فابتلعه في الحال .

حين شب الطفل (زيوس) واصبح قويا وكبيرا تحت عناية الحوريات الحـانيات ، قـالت له احـداهن ، (ميتيس) بأن الوقت قد حان له للانتقام للاعمال الخـاطئة التي اقتـرفها ابوه . وهكذا قدم نفسه الى قصر كرونوس بوصفه غريبا وفي

احد الايام حين كان كرونوس يحتسي الخمر بكثرة دس زيوس عشبا قوي الفاعلية في كأس خمرة ابيه . وكان لهذا تأثير جعله يتقيأ الاطفال الخمسة الذين كان قد ابتلعهم ، وهم بوسيدون وهاديس وهيرا وديميتر وهستيا . والان وقد اصبح الاطفال كبارا ساعد اثنان منهم زيوس على غل ابيهم في السلاسل . غير ان كرونوس صرخ مستغيثا بأخوته الجبابرة (تتيان) فنشبت بين الطرفين حرب . وكان الى جانب زيوس اثنان من نسل الجبابرة كان البارز منهما بروميثيوس ـ احكم جميع الجبابرة والموهوب بادراك خاص للمستقبل . وبهذا كان يعلم بأن مصير زيوس انه سيزيح كرونوس القاسي ويبدأ بحكم الاولمبيين . وكان يحارب الى جانبه (ايبيمثيوس) الذي وان لم يكن يشبه اخاه العظيم ، الا انه كان يمتلك ادراكا متأخراً .

كان بروموثيوس هو الذي فسر لزيوس كلمات الام في كيفية مقاومة الجبابرة ارسلت الارض الام زيوس الى تارتاروس ليحصل على مساعدة الجبابرة الذين كان اورانوس ، قد سجنهم في الظلمة الابدية في أعماق الاعماق تحت الارض .

كانت بوابات تارتاروس محروسة بتنين مخيف يدعى ، كامب ، وهو انثى وحش ذات خمسين رأسا ، سيقانها أفاع تتلوى ، وحول اذرعها تلتف حيات تهش .

وجسمها محرشف كوحش بحري ولذنبها لدغة العقرب .

ذبـح زيوس ذلـك الوحش بنفس السيف القـاطـع الـذي استخدمه كرونوس لبتر اورانوس .

والان بحث زيـوس وثـلاثـة من ابنـاء اورانـوس ذوى الخمسين رأسا والمائة يـد عن اخوتهم العمـالقة واطلقـوا سراحهم . وصنع العمالقة اسلحتهم للحرب ضد كرونوس الطاغية وضد الجبابرة الاخرين . صنعوا لبوسيدون رمحا ثلاثي الشعب يضرب به المحيط في عاصفة غاضبة . وصنعوا لهاديس خوذة تجعله غير مرئي ولزيوس صنعوا الصواعق والبروق ، المحمية وهي اقوى الجميع .

دارت السماء وزلزلت ، وهـدرت البحار ، حـين نشبت الحرب بكل ضراوة بين الجيشين .

ارسل زيوس من فـوق قمم اولمبوس صـواعقه فـأعمى الجبابرة بـالبروق ، ورمى الـوحوش ذوو الخمسـين رأسا صخورا ضخمة من ايديهم المئوية ، مما جعل الجبابرة يولون الادبـار الى الاسفـل في تـارتـاروس اعمق الاعمـاق تحت الارض .

أصبح زيوس كبير الآلهة وسكن في جبل الاولمب . وحصل هاديس على ايريبوس المظلمة مملكة له وبوسيـدون اصبح سيد البحار .

اما اطلس ، اكبر واضخم الجبابرة ، والذي حارب الى جانب كرونوس والذي لم يهبط مع من هبطوا الى تارتاروس

فقد حكم عليه زيوس بأن يحمل ثقل السماء على رأسه ويديه . واما لبروميثيوس وايبثيوس اللذين ساعداه فقد خصمهما زيوس بالمسؤولية عن عالم الانسان والحيوان .

بدأ بيثيموس بداية حسنة . فمنح القوة الخارقة للاسد والنمر وسائر الوحوش المفترسة في الغابات ، ومنح الطيور موهبة الطيران ومنح الاسماك الانهار والبحار ، ومنح الارض الحشرات وجميع الزواحف وذوات الاربع .

وخلق بروميثيوس الانسان من طين الارض وسقاه من دموعه ، لانه احب المخلوقات التي ابدعها . وبعطف الهي ، لم يزودهم بمعرفة المستقبل ، والا لقلقوا من المتاعب التي امامهم . وعوضا عن ذلك منحهم النعمة العظمى المباركة وهي نعمة الامل ، وبهذا تبقى لديهم بعض الثقة بأن الامور ستتحسن يوما ما . كما خلقهم ايضا بحيث ينظرون الى الاعالي ، الى السماء ، لا الى الاداني الى الارض كما تفعل حيوانات ايبيميثيوس . لقد قولب الرجال في ما يشبه الالهة انفسهم ، جعلهم جميلين ومنتصبين . وعلمهم كل ما يحتاجون اليه ، لانهم كانوا عراة لا حول لهم .

فكر بروميثيوس حين شعر ان زيوس رغب في السيطرة على الانسان في حيلة يمكنها ان تحول دون هذا . ففي اجتماع للالهة ، طرح بروميثيوس ثورا ضخما كان قد قطعه بطريقة خاصة . رتب القطع اللحمية كثيفة من الشحم . وكان

لزيوس بالطبع الاختيار الاول فاختار القسم الذى يبدو اكثر سمنا . وتصور غضبه حين اكتشف ان لا شيء في الكيس الا العظام تحت الشحم . وكعقوبة للناس احتجـز عنهم النار واحتفظ بها احتياطا للالهة .

ولكن بـرموثيـوس الحكيم عرف بمكـان حراســة كـير الحدادة . وهكذا ذهب الى جزيرة ، ليموس ، وسرق قبسا من النار خبأه في تجويف قصبة وحمل الشعلة الملتهبة عائدا بها الى الانسان . وبهذه الشرارة الثمينة اشعل اول نار على وجه الارض . وعلم الناس كيفية استعمـالها في صنـع المعادن والادوات وفي جميع الفنون والحرف ، وفي شي لحومهم وتدفئة بيوتهم . وكان بروميثيوس يعلم بأن عليه ان يدفع ثمن هذا التحيل ، ومع ذلك كان مستعدا للتضحية بنفسه ، فبدون النار لن يكون الانسان اكثر من حيوان .

لقد تحدى بروميثيوس الالهة في الدفـا ع عن الانسان . ارسل زيوس اليـه هيفا سيتـوس ، اله الحـدادة ، ليقيده بسلاسل ثقيلة ويشده الى صخرة على اعـلى قمة في جبـال القفقاس في الجانب الشرقي من العـالم . ولما لم تكن هـذه العقوبة كافية كان يرسل اليه كل يوم صقرا ، لينهش كبده ، الذي كان يعود كل ليلة الى وضعه الطبيعي ، ولهذا يستطيع الطائر النهم المفترس تجديد وليمته التعذيبية الى الابد .

وخطط زيوس الخائف مما يمكن ان يحصل عليه الناس

من نعمة النار على اضعاف مركزهم ، فدعا آلـة الحدادة ، هيفا سيتوس - (ولو انه كان اعرج ومشوها كمـا هي حال مبتدع جميع الحرف) وأمره بصنع امرأة في الارض تستطيع بفتنتها انزال البؤس والحزن على جنس البشر . وامر زيوس الالهة ان يهبوها هداياهم كل حسب مساهمته ومهارته . وقد قولبت المرأة على شكل الهة . منحتها افروديت، الهة الحب ، جمالا باهرا لكنها ملأت قلبها بالشوق الموجع ، ومنحها هرمز اله البلاغة قوة الكلام الا انه لوث كلماتها بالخديعة والمكر . وسميت باندورا وتعني (هبة الجميع) .

ثم ارسـل زيوس (بـاندورا) رفيقـة لايبميثيوس، ذلـك الساذج . القادر فقط على معرفة ما قد حدث ، القصير النظر . ولم يهتم لتحذير أخيه بعيد النظر ، بروميثوس له بأن عليه الا يقبل الهدايا من زيوس . وجاء هرمز من زيوس بهدية اخرى هي عبارة عن جرة قام الالهة بملئها - واوعز الى ايبيميثيوس بالا يفتحها ابدا . فهو مطمئن الى ان الانسان سيجد المتعة في حياته ما دامت مغلقة . وهكذا قال ايبيمييثوس لباندورا بأن عليها ان تحفظ الجرة سالمة وحذرها بعدم فتحها ابدا .

منذ ذلك الحين لم يشغل فكر باندروا أي شيء غير الجرة المسدودة . ماذا تحتوي؟ واشتاقت نفسها لاختلاس نظرة واحدة اليها فحسب . وحان اليوم الذي لم تعد تقوى فيه على المقاومة . رفعت الغطاء .... والى الخارج تطاير كل شيء شرير

متصور ، كل عناد وكل مكر وكل مـرض كان يعم الجنس البشري وبـاء منذ ذلـك الحـين ، ولكن لحسن الحظ فـان بروميثيوس كان قد اسهم ايضا في وضع هديته في الجـرة وطارت من الجرة كالاخريات ، وبهذا وهبت الانسان نعمة انه يستطيع على الدوام تخفيف معاناته .

في نفس الوقت ظل بروميثيوس يتحمل عذابه على جبـل القفقاس . وكان سيل زفراته المكروبة يجعل الارض تهتـز ويتردد صداها على طول المنحدرات ووسط فجوات الجبل . وكثير من الملاحين كانوا يفرون يملأهم الرعب ، وحين ابحر ، جـاسون ، مـع ابطالـه الى كولجس ، عـلى ظهر السفينـة ارغوس ، ركبهم الرعب واخذتهم الشفقة حين شاهدوا النسر الشرير وهو ينقض عـلى وليمته من اللحم الحي فتصطبـغ البحار حمرا بدماء بروميثيوس .

كان زيوس يجلس في الاولمب يغمره رعب دائم عما تخبئه له المقادير .

الم تقل النبؤة بأن زيوس نفسه سيخلع ، كما خلع هو نفسه اباه من قبل ؟ ولكن كيف وعلى يد من ، كان سيطاح به ، ذلك لا يعلمه ويخبر به الا بروميثيوس بعيد النظر ، كما عرف زيوس ايضا بأن بـروميثيوس قـد احتفظ بسر كيفية تجنب ذلك . لهذا ، ارسل زيوس هرمز الى القفقاس النائية مع عرض بتحرير الجبار من عذابه اذا هو افشى سره واخبر

زيوس كيف يتخلص من مصيره المحتوم . ولكن بروميثيوس تحدى زيوس وجميع تهديداته بعذاب اشد اذا ما هو رفض ان يتكلم .

قال بروميثيوس لهرمز : لا تهديدات من زيوس ، ستضطرني على التكلم ضد ارادتي ، فانا اتحرر إذا امر زيوس من صميمه ان اتحرر . فاذا ما عذبني اكثر فساحتمل ما علي ان احتمله . ومع ذلك ففي النهاية سأتحرر ،، وصرخ هرمز «اسمع ، اذن ، يا بروموثيوس ، ما سن زيوس من قانون . ان عذابك سيستمر وستلقى في النهاية الى تارتاروس . والى الابد ولن تسكن مع الخالدين ما لم يوجد خالد آخر يحل محلك بين الموتى .

والان تنبأ بروميثيوس ايضا بأن جنسا من العمالقة سيشنون حرباً على سكان الاولب ، وكل ما جرح عملاق فانه سيبعث ثانية قويا كما كان . لن يقدر خالد على قتلهم ، ولكن ولدا من ابناء زيوس سيخلق انسانا ثانيا ـ اعظم من جميع الابطال ـ وهو وحده يكسب للالهة المعركة ضد العمالقة .

وهكذا حدث ان ذبح هرقل ، ابن زيوس ، العمالقة كما تنبأ بروميثيوس بذلك .

ظل بروميثيوس مئات السنين معلقا مقيدا بسلاسله فوق الجبل في الناحية الشرقية من العالم . ولكن اثناء هذا الوقت اصبح زيوس اكثر حكمة وتعلم بان الحكم بالسلطة المجردة

وبـالطغيان ليس هـو السبيل السـوي . وان نبالـة الجبار العظيم بروميثوس ومعـاناتـه قد رققت قلبـه وتحرك نحـو الـرحمة . واتخـذ قراراً بـاطلاق سراح بـروميثيوس دون مقابل . وحصل الامر كالآتي : ففي رحلة له الى حوريـات الهبريد ليحصل على التفاحات الذهبية ، قال زيوس لهرقل ، سل بروميثيوس نصيحة واطلب منه مساعدة ، وكانت رحلة هرقل طويلة وشاقة ولكنه وصل اخيرا الى قمة الجبل حيث بروميثيوس المقيد بالسلاسل . شاهد النسر المروع ينقض على وليمته الهائلة ، وسمع زفرات الالم الصادرة من التيتان القدير ، فملأته الرحمة والغضب وسحب قوسه ورما النسر بسهم قاتل . وخر الطير النهم الى البحر في الاسفل . فك هرقل السجين من قيوده واخبره بروميثيوس عن كيفية الحصول على التفاحات الذهبية من حديقة الحوريات حارسات التفاح الذهبي . وبعد ذلك قال هرقل لبروميثيوس ان عليه ان يبحث عن القنطورس العطوف شيريون ، في كهف على جبل بيليون ، لانه قد جرح بسهم سام وجهه هرقل نفسه نحـو قنطورس آخر .

ولا من فان ولا من خالد يمكنه ان يشفي جرحه وهو الان ، يستمر هرقل قائلا ، يتوسل أن يموت ، والموت ، واحسرتاه ، لا يمكن ان يدنو منه ، لانه من الخالدين .

وعلى الفور جهد بروميثيوس في البحث عن شيريون ، الذي

كان قد وافق على انهاء معاناته الخاصة حين انتهت مهمته على الارض وعلى ان يحل محل بروميثيوس في ايـربيوس ، واستمر هرقل العظيم في ترحاله ، يرى نفسه صغيرا بجانب جلال ونبل التيتان الجبار بروميثيوس .

قدم بروميثيوس على زيوس وقال : لا الرشاوى ولا الوعيد تجعلني اتكلم ، ولكن الان وقد نحيت انت القسوة جانبا ، ساكشف لك ما أردت ان تعرفه والذى ظل سراً ، ان ألنبؤة تقول بأن ولداً من «ثيتس» حورية البحر سيكون اعظم من ابيه . لذلك يجب ان لا تزف اليك «ثيتس» لئلا يكون ابنها ابنك .

لنتبه زيوس لهذه الكلمة ونفذها وزوج «ثيتس» للبطـل بيليوس ،، ومنها كان أخيل . وحـين علم شيريـون الحكيم المعلم العظيم لجميع ابطال اليونان ما يجب ان يتعلمه جميع الابطـال ، ادرك بـان مهمتـه قـد انتهت وهكـذا ذهب الى ايريبوس ليسكن بين الموتى .

وعاش بروميثيوس مرة ثانية مع الخالدين ، مارا بحرية من جبال الاولمب الى الارض بوصفه معينا للجنس البشري .

بارزيفال

ستيفن كورن



كان الشاب بارزيفال يعيش مع امه في بيت منعزل في الغابة كان ابوه محاربا عظيما وفارسا مشهورا ، ولكن لانه مات وهو يحارب فان ام بارزيفال لم تشأ ان تدع ابنها يعلم

أي شيء حول شؤون الفرسان او مبارياتهم .

حدث في احد الايام ان مر بهم فارس على حصانه ، ولدى اقترابه رأى بارزيفال الشمس تشرق على درعه وخوذته .

كان يمتطي جوادا عليه سرج من جلد لماع ، والركابان يجلجلان باجراس ذهبية صغيرة . اخذ بارزيفال بهذا الحصان الرائع وراكبه انحنى راكعا امامهما .

سأله الفارس : «لماذا تركع ايها الشاب ؟»

أجاب بارزيفال : «لانك آله»

سأله الفارس مندهشا : «لماذا تظن ذلك ؟»

اجاب بارزيفال : لان النور الذى يشع منك اعظم من الشمس وقد أوصتني امي ان علي ان اركع لها .

قال الخيال وهو يهز رأسه : لست آلها انا فارس من فرسان بلاط الملك ارثر .

سأله بارزيفان : ما الفارس ؟ لم اسمع بواحد من قبل . ايمكنني ان اصير واحداً واكون مثلك قويا رائعا ؟

«أذا ما ذهبت الى بلاط الملك ارثر فستجد إن كنت جديراً بأن تكون فارساً» كان الجواب .

شكرا لك يا سيدى ، قال بارزيفال وعاد راجعا الى البيت ، الى امه .

«اريد ان اكون فارسا في بلاط الملك ارثر »

قال لها واستمر يصف لقاءه بالرجل ذى الدرع اللامع .

كان متهيجا بحيث رأت الام مع حزنها انها عاجزة عن اقناعه ولكنها فكرت في وسيلة يمكن ان تحمله على العودة الى البيت . البسته بدلة عتيقة خرقاء كانت قد جمعت اجزاءها من اقمشة فساتين عتيقة لا تكاد تبلغ كعبيه . وجعلت قماط ساقيه من جلد المعز والبسته قبعة مهرج في رأسه .

واخيرا جهزته بحصان اعجف ملتوي السيقان وقالت له أن يتوجه الى بلاط الملك ارثر .. وهي تفكر في نفسها سيضحك الناس كثيرا من هذا الفارس الغريب بحيث سيكون بارزيفال سعيدا فرحا لو انه عاد الى امه .

اوصته امه : قبل ان ترحل تذكر هذه الوصية . حيي كل الناس بادب وحين تغادرهم قل دائما : ليحرسكم الله ، وعلى الدوام كن في عون آنسة هي في ضيق وستعطيك حلقتها وتودعك راحلا في قبلة .

شكر بارزيفال امه وودعها . كان يبدو شخصا يثير السخرية .

كان الناس اسفين على الشاب المسكين .. ومع ذلك سار راكبا بجرأة وقطع اميالا كثيرة قبل ان يقع بصره على خيمة حريرية في وسط حقل .

كان في أشد حالات الجوع .. لهذا تقدم نحوها واجتاز العتبة .. كانت ترقد على مضجع هناك سيدة جميلة وتغط في نوم عميق .

كان احد ذراعيها خارج الغطاء وكان في بنصرها حلقة ذهبية . وفجأة استيقظت وصرخت مرتعبة ، وقالت :

«من انت ؟ وماذا تريد ؟»

رد بارزيفال بادب : «اسف اني اخفتك انا جائع جدا وظمآن . ارى بعض الشواء وشرابا هناك هل بامكاني تناول قليل منه ؟»

لم تعرف السيدة ماذا تفعل لهذا المخلوق الغريب المنظر .. فاجابته : كل قدرما تشاء ولكن ارجوك ان تعجل بالرحيل لان زوجي قد يعود في اية لحظة ، واذا هو وجد رجلا في خيمتي فمن المؤكد انه سيقتله .

«حسنا ولكن هل تتفضلي وتعطيني حلقتك ؟».

قال بارزيفال متذكرا ما اوصته به امه ..نزعت حلقتها من اصبعها بسرعة واعطتها اياه فانحنى بارزيفال وقبلها .

قال وداعا ياسيدتي العزيزه ، وليحرسك الله فذلك ما اوصتني امي ان اقوله، ثم امتطى حصانه وسار مغادرا .

لم يسر طويلا قبل ان يصادف فارسا اخر يتقدم نحوه . كان كامل البزة من رأسه الى اخمص قدميه في درع احمر لماع .

«تحية ايها الشاب» قال الفارس الاحمر (وهذا ما كان يعرف به) الى اين انت ذاهب ؟

اجاب الشاب : «الى بلاط الملك ارثر ارغب في ان اصير

فارسا».

«اذن سر قدما الى ان تشاهد قلعة . ذلك هو بلاط الملك».

قال بارزيفال شكرا لك ليحرسك الله لان ذلك ما اوصتني امي ان اقوله . وسار تاركا الفارس يبتسم .

رحب به في البلاط احد اتباع الفرسان وقاده الى الحضرة الملكية وحاشيته . والجميع كانوا مهيبين بحيث لم يعرف بارزيفال ايهم كان الملك .

ذاك هو الملك ، قال التابع مشيرا الى ارثر الذي كان جالسا الى جانب الملكة غوينيفر .

«كيف اكون في عونك ايها الشاب الطيب ؟»

سأله الملك في حين كانت الحاشية في دهشة .

«ايها الملك ارجوك ارغب ان اصير كاحدهم اريد ان اصير فارسا في بلاطك».

أجاب الملك آرثر: «قبل أن يكون ذلك ممكناً، ينبغي أن يكون لك درع مناسب».

قال بارزيفيل بحزن : اذا كان الامر كذلك فانا احب درع الفارس الاحمر .

سأله الملك متعجبا : لماذا اليس هناك درع اخر هو غايتك ؟

قال بارزيفال : الاحمر هو اللون الذي يسرني

«اذن ينبغي ان تذهب الى الفارس الاحمر وتخبره بأنك

تريد درعه ،درعه فقط».

تضاحكت الحاشية فقد كانوا يعلمـون بأن ذلـك يعني مبارزة بين شاب غر وفارس باسل من فرسان البلاط .

ولكن سيدات البلاط اشفقن عليه فقلن :

- «من العار ان يرسـل ولد شـاب لطيف مثل هـذا الى حتفه» .

قالت الحاشية : يحتاج الى درس قاس ولن يفعل الفارس الاحمر غير هذا . وكانت ضمن حاشية الملك سيدة معينـة تدعى كوينوبر التي لم تشاهد مبتسمة وهي لن تبتسم ، كما يقال الا اذا شاهدت اجرأ واجمل فارس في العالم . ولكن حين قام بارزيفال بتوديع الملك وهو يقول : «ليحرسك الله لان امي قد اوصتني ان اقول ذلك» . انفجرت كوينوبر ضاحكة حين مر بها في طريقه الى الساحة .

لم ينتبه بارزيفال الى ذلك الا ان جميع الحاشية حدقت بدهشة وتعجبت . ايمكن ان كان يوجد في الصبي اكثر مما يشاهد فيه .

لم يبتعد بارزيفـال عن البلاط كثـيرا الا ورأى الفارس الاحمر يتوجه نحوه فوق حصانه .

قال : تحية مرة اخرى ايها الشاب الطيب اراك عائدا من بلاط الملك ارثر . الى اين انت ذاهب الان . ؟

اجاب بارزيفال : «جئت ابحث عنك لان الملـك ارثر قـد

امرني بأن اقول لك بأني اريد درعك ودرعك فقط».

سال الفارس الاحمر «اراغب انت ان تقاتلني من أجله ، اؤكد لك ان لا سبيل الى ذلك غير هذا».

قال بارزيفال : «لم اعرف بأن عليّ أن اقاتلك لكن اذا كان لابد من ذلك فسافعل» كان الشاب قويا للغاية وشجاعا جدا ولم يكن بدون مكر .

استعمل عصاه المدببة بالحديد بمهارة فائقة ورد سيف الفارس خائبا وبعد كفاح انطرح الفارس ذبيحا على الارض .

شعر بارزيفال بالاسف ولكنه لم يشعر بأنه مجرم ، افليس هو يحمل اوامر الملك ارثر ؟ .

جاء الان دور نزع درع الفارس ، ولم يكن ذلك سهلا ولكن بعد جهد جهيد نزع درع البدن والخوذة وطقام الساقين وكل شيء وارتداها على مهل متألماً . احس انه ثقيل ومن الصعب عليه امتطاء حصانه . ثم صاح: «هوراه، أنا الآن فارس حقيقي ..» وسار راكباً يبحث عن مغامرة اخرى .

أحس حصان بارزيفال المعروق المنحني السيقان بتزايد ثقل راكبه عليه وبدأ يغير بوحشية واخيرا توقف اثر ارهاق شديد امام قلعة فخمة .

كان صاحب هذه القلعة المنيعة فارس يدعى غونيماز ، وهو شيخ عطوف عاقل استقبل بارزيفال بضيافة كريمة وسمح له بأن يمكث في القلعة عدة اسابيع . وكان قد رأى في

الشاب شخصا امينا وذكيا ولو انه ساذج وجاهل بأساليب الدنيا .

ولكن بصبر جميل علمه كل ما يحتاج اليه الفارس - كيفية التحكم في الحصان بصورة صحيحة وكيفية اطلاق السهم والامساك بترسه بثبات .

كذلك اوحى اليه ببعض التلميحات حول السلوك وعادات البلاط وانذره بالا يذكر امه في كل ما يقول .

كان بارزيفال سريع التعلم وتلميذاً مستجيباً ، وقد تطور تحت ارشاد غونيمانز الى فارس متمرس .

وحين آن وقت انصراف بارزيفال ، ذرف كلاهما دموعاً صادقة ، فقد احب احدهما الاخر .

سار بارزيفال راكبا عدة اميال الى ان وصل الى قلعة منعزلة يحيط بها خندق مائي .

اجتاز القنطرة وهبط ودق البوابة فاستقبله بادب تابع شاب وقاده الى البهو الرئيسي في القلعة . كان الفرسان في هذا البهو يقومون على حراسة الكأس المقدس - الطبق المقدس الذي قيل ان المسيح قد استعمله في العشاء الاخير .

كان للكأس قوة اعادة الحياة ، وبسبب صفته المقدسة كان يقدم خبز ونبيذ للفرسان كل يوم وبتناولهم هذا الخبز والنبيذ كان الفرسان يبدون وكأنهم لم يشيخوا .

كان امفورتاس ملك الكأس يضطجع عنيلا على وسادته

فجيء ببارزيفال الى حضرته حيث رحب به ترحيبا بالغا .

دخل فارسـان تبدو عليهمـا النبالـة الى البهو الـواسع يحملان الكأس عـلى وسادة من قـديفة قـرمزيـة مخاطـة بالذهب . وكان يتبعهما رتل من السيدات يحملن شمعدانات فضية واعطى التابعون لكل فارس في البهو ومنهم بارزيفال قطعة من الخبز وملأوا اقداحهم بالنبيذ ثم اخـرج الكأس وتبع ذلك السيدات .

طيلة الوقت كان بارزيفال يشاهد الملك يتلوى كما لو ان ذلك كان من الم شديد ، ولكن لم يبد ان هناك من يفكر في مساعدته .

فكر بارزيفال مع نفسه «كم في ذلك من سر» .

وكان على وشك ان يسأل الفارس المجاور له عن سبب حزن الملك حين تذكر فجأة نصيحة غونامانز بألا يسأل اسئلة كثيرة لذلك لم يقل شيئا .

استقيظ في اليوم الثاني ليجد القلعة مهجورة . وبينما كان في طريقه الى القنطرة ظهر فجأة من ممر فارس وحيدا وناداه «انت هناك ايها الغريب الاحمق لو كـان لك أي احسـاس بـالشجـاعـة لطـرح سؤال واحـد بسيط لكسبت الصيت الابدي». بعد ذلك اختفى الفارس وسار بارزيفال في سبيله محتاراً مرتبكا ثم ترك القلعة . بعد مغامرات عديدة انقذ فيها اوانس كثيرات وقعن في ضيق ......

عاد مرة اخرى الى بلاط الملك ارثر ، استقبل بحفاوة بسبب شهرته التي سبقته واعلن الملك ارثر عن وليمة خاصة تقام على شرف بارزيفال في الحال باعتباره احد فرسان الطاولة المستديرة .

وحين حل اليوم المعين ركع بارزيفال امام الملك ومنح رتبة فارس بمهابة واقسم يمين الولاء .

وبعد انتهاء الاحتفال بفترة قصيرة فتح باب البهو ودخلت سيدة ذات وجه كاشرس ما يكون . كانت تلك هي العرافة المرعبة كندرى ، والتي كانت تلزم الصمت لعلمها بالاشياء الخفية على الناس العاديين الفانين .

مرت من بين حشد الفرسان ووقفت امام بارزيفال وقالت :

«انتبه يا بارزيفال . لقد فشلت في اداء واجبك كفارس كانت تعوزك الرحمة والعطف نحو رفيق لك .

سؤال واحد منك كان ينقذ الملك امفورتاس من عذاب دائم . بقيت صامتاً، وهكذا سيظل هو حزيناً» واستدارت وغادرت البهو بعد أن تركت بارزيفال مرتبكاً يحس بالعار .

نظر الملك ارثر بحزن الى فارسه الشاب الممنوح رتبة حديثا ولكن لم يفه بكلمة نصح . لقد ترك بارزيفال ليبحث عن حل خاص به ليجد الخطأ الذي ارتكبه وليضع الامور في نصابها .

غادر بارزيفال بلاط الملك ارثر قاصدا قلعة الكأس مرة

اخرى . وفي كل مرة لم يكن هناك من يرشده الى الصواب ولا من ينبؤه بخبر عنه .

وفي احد ايام الجمعة وصل الى زنـزانة نـاسك قـديمة واخبره عن متاعبه .

اصغى الناسك الشيخ بانتباه وقال : يابارزيفال ، انت شاب يافع ولا تعرف الكثير ، يجب ان تعرف انه من سنين كثيرة خلت كان ملك الكأس قـد عوقب من اجـل خطيئاتـه واصيب بجرح من رمح فارس عدو .

وكل يوم يؤتى بالكأس الى حضرته ليتناول الفرسان منه عونا ، يبدأ الدم يسيل جديدا من الجرح وعلى الكأس رسالة مقدسة تقول بان الملك لن يزاح عنه كربه الى ان يأتي فارس ويسأله عن سبب معاناته بهذه الكلمات «ياامفورتاس ، قل لي لماذا انت تعاني ؟

ولكن ان يكون السؤال من فارس بلا خطيئة كمـا تقول الرسالة ، سيأتي هذا السؤال . وانت يابارزيفال كان يمكنك ان تسأل هذا السؤال لو كنت بلا خطيئة .

سأل بارزيفال» اية خطيئة اقترفت ؟.

اجاب الشيخ الناسك بوقار لقد اخطأت مرتين اولا ، انك تركت امك الارملة التي هلكت بعدك حزنا ، وثانيا لأنك ذبحت الفارس الاحمر دون ما مبرر .

والان اركع يابني واستغفر لخطاياك . ركع بارزيفال امام

الناسك واعترف بخطيئته .

«صلى الناسك لله يسأله العفو عن الفارس الشاب . وبعد ان صليا كلاهما بصمت قال الناسك انهض يا بارزيفال لقد غفر لك ، فاذهب الان وابحث عن الكأس . ان حياة الملك امفورتاس تقترب من نهايتها وان رسالة جديدة في الكأس ستعلن اسم الملك الجديد . لعل الله يجيب دعواك» .

انطلق بارزيفال مرة اخرى وسار راكبا عدة ايام دون استراحة ثم فجأة ظهرت امامه من بعيد قلعة الكأس تلوح في الافق بابراجها وقنطرتها وخندقها كأنها ليست في مكان ما .

اجتاز القنطرة بسرعة وطرق البوابة . واخذ ثانية الى حضرة الفرسان الذين رحبوا به بمهابة وبتهيب غريب مستطلع .

وقام على خدمته تابعان بينما كان يغتسل ويبدل ملابسه بجديدة . بعد ذلك قيد الى حضرة الملك امفورتاس ، وبينما كان يقترب من الملك الشيخ صاح الشيخ «اقتلوني الان فكربي اكثر مما احتمل» .

ولكن لم يتحرك احد حين كان بارزيفال يدنو من مضجع الملك .

ساد المكان سكون شامل حين ركع بارزيفال بجوار الملك امفورتاس ، وسأله : «لماذا انت هكذا تعاني ؟»

لدى سماع هذه الكلمات ولدهشة الجميع نهض الملك من

فراش العلة قويا معافى .. وكان اول ما قاله : «ان الكتابة في الكأس تعلن اسم ملك جديد» .

تحياتي ايها السيد بارزيفال ياسيد فرسان الكأس .

وردد صدى كلماته جميع الحاضرين .

شفي امفورتاس بمعجزة ، وكان الاعلان عن الملك الجديد بالطبع موضوع فرح عظيم .

كان بارزيفال مغمورا بصراع مميت يعاني محنا .. الا ان كل ذلك انتهى الى نهاية سعيدة انه الان جدير بمنصب ملك الكأس ....

الهارب

روز ماري ستكليف



كانت الظلال تستطيل عبر الدكة ، إلّا ان السياج المراني
الذي كان يفصلها عن الحديقة المجاورة ، قد احدث ركنا
محميا ، وما كان لوسيان الجالس فوق الصخرة الكبيرة

المتخذة مصطبة في منعطف السياج ، في حاجة الى البطانية المخططة ، حول ساقيه . ولكنه كان يعلم انه لو رماها ، فان ، ماركيبور ، خادم ابيه الشخصي ، والذي حمله الى الخارج هنا ، سيتهيج ويدمدم كامرأة عجوز .

مال الى جانبه عابسا مركزا نظره في الطين فوق نهاية المصطبة الواسعة المرتفعة ـ كان ماركيبور ، قد استجداها من صديق له كان يعمل مع فخار في البوابة الشرقية ، وكان عليه ان يجعل منها ما يشبه كلب صيد نائم .

كانت المشكلة انه لا يتذكر بالتمام كيف يكون بوز الكلب حين يتفرطح وهو راقد فوق براثنه . ينبغي عليه ان يلاحظ ذلك في المستقبل في وقت يرى فيه ساريوس ، مضطجعا الى جانب قدمي ابيه وقت المساء .

جلبت ريح الربيع الخفيفة الهابة عبر المعسكر ضجيج قرع طبول خفيف من القلعة ، كما جلبت ايضا اصوات صبيان ونباح كلب . كان بيت رئيس سرية الحرس اخر بيت في الحامية، وما وراء جدار الدكة ، ارض براح تنحدر بلطف نحو استدارة النهر . وكان بوسع لوسيان وهو يرفع بصره عن الكلب الطيني ان يشاهد ثلاثة صبيان وجرواً صغيراً يتراكضون عبر التل، الاولاد يهدرون وهم يجرون ، والجرو يستدير امامهم واذناه وذيله تتماوج .

تذكر لوسيان كيف كان احساسه حين كان يجرى مثل

مـاهم الان يجرون . انــه الان في الثانيــة عشرة ، وكان في السابعة حين اصابه المرض الغريب ،كان بعض الصبيان قد اصيبوا به ايضا وقد مات اكثرهم . لم يمت لوسيان ولكن تجاوزه المرض لم يعد قادرا على الجري مرة اخرى .

اختفى الان الاولاد والكلب ،وعاد هو الى الكلب الطيني . وبالرغم من عدم تحققه من وضع البوز فقد بدا له ابنه يشبه سيريوس ،وان فيه حيوية ،فهو الان لم يعد طيناً بارداً بل أن فيه شيئاً ما من سيروس او ربما منه هو ذاته ايضا .

لم يكن قد مر وقت طويل عليه حين اكتشف بأنه يقدر ان يجعل الطين يفعل ذلك ، ولا يزال يدهشه ويعطيه احساسا غريبا .

حدث تهشم وتحطم في سياج المران جعله يرفع بصره ثانية منفعلا حول المقعد ليرى على الفور رجلا يتخطى السئاج .

تحامل الرجل على نفسه بعد سقطة خفيفة ومشى متعثرا الى الامام خطوة او خطوتين ، ثم توقف واختلس نظرة الى الـوراء ، حيث الاغصان المهشمـة وبقايـا الـورق الهشيم المتبقي من العام الماضي وكانت علامـة على الطـريق الذي اتخذه .

اطلق لوسيان لهثة ووثب المتطفل ويده مسرعة الى خنجر في حزامه ، والتقت اعينهما .

والغريب في الامر ان الصبي لم يبد أي رعب ، وبعد تلك

اللحظة المفاجأة ، جلس ونظر الى الرجل بينما وقف الغريب ينظر الى ما خلفه بعينين رماديتين متوترتين في وجه اسمر اللون شاب . وكان شعر اشعث مبتل يعلو جبهته التي كانت تتصبب عرقا وصدره يعلو ويهبط كخاصرتي حيوان مطارد

كان لوسيان اول من تكلم : «ما الامر ؟ هل انت هارب من شيء ما ؟

أأنت عبد آبق ؟»

ابتلع الرجل ريقه واستعاد انفاسه ، وللحظة وبشكل غير ودي بدت على وجهه ضحكة مضطربة «يمكنك ان تسميها كذلك».

«وهم وراءك في طلبك ؟».

اجاب الرجل باشارة من رأسه «نعم» .

ولكن لوسيان لاحظ بان البدلة الممزقة والاوراق الصفر المتبقية من العام الماضي ، المعلقة بها انما هي البدلة الرسمية الحمراء التي لا أردان لها «انهم النسور الذين انت هارب منهم ، انك فار».

«صحيح مرة اخرى ... وهم يمشطون المعسكر بحثا عني» . قال الرجل

اندلع الاحتقار بلوسيان «ارجو ان يمسكوا بك ويعيدوك».

لست راجعا فقد عانيت ما فيه الكفايه قال الفار متمهلا

سأموت اولا ـ وكذلك انت ، وكان قريبا من لوسيـان الان ونصل خنجره يلامس حنجرته .

نظر لوسيان الى اليد التي تمسك بالخنجر ، والى الذراع فوقها ، ثم الى الوجه الاسمر اليائس . كان حلقه جافا ، ولعق شفته السفلى .

وقال الرجل «اصغ الي الان وقل انك لم تشاهد اى احد يمر من هذا الطريق» .

«شاهدت ولن تجعلني الا اقول مادمت لاتنصرف» .

قال الفار «لا افعل حتى اقتلك ، وانا لا اريد ان افعـل ذلك ، اذا استطعت ، ولكن اذا ظفروني ، فسأعيش الى ما يكفي لأن اهرب ثانية ، ثم آتي واقتلك» .

قال لوسيان يائسا «ساصرخ ، يوجد اناس قريبون منا ،، وكان اذ ذاك يصغي ويتسمع لاصوات المطارده» .

«يحتاجون الى ان يكونوا قريبين جدا للوصول اليك قبل ان يكون هذا النصل في حنجرتك» .

الوقت متأخر بالنسبة للصراخ ، ومتأخر بالنسبة للجري ايضا ؟

كان اوان الجري حين برزت انا من السياج .

«انا ـ انت ان تقتلني الان ، يصلبونك حين يلقون عليك القبض» ، قال لوسيان وكان صوته ذاته ليس هو صوته «وان لا تفعل ، فسأقول اي طريق سلكت وتستطيع ان تتبجح ولكن

ليست لك فرصة للهروب . هذا هو كلام الطفل» .

رأى لاول مـرة لمحة من شـك في عيني الرجـل وزحزح الخنجر ببطء بمقدار ابهام عن الخنجر .

قال الرجل بلهجة متغيرة «اذا انا اخذت هذا الطريق فهل ستعد بأنك لن تفر هربا ؟»

نعم ، ولم يقل انه يقدر على ذلك .

سحب الرجل خنجره وأغمده في قرابه . وتردد برهة ونظر خلفه ثانيـة ، الى حيث الطريق الـذي سلكه ، مصغيـا الى اصوات المطاردة . ثم ظهر انه وصل الى قرار فتكلم بسرعة وعلى الفور . لقد التوى كاحلي ، وأنا عاجز والا لما اخبرتك عن ذلك ، ولكن يبدو الا خيـار لي . ولكن سيكون لـدي الوقت لاخبرك اكثر فاستمع إليّ ... انني احمل رسائـل للقيصر ـ وهي سرية وخطيرة ولاجل ان اجتاز بها اعداءنا ، عليّ ان اقوم بدور الهارب .

انهم لا يعلمون عنها شيئا في القلعه ، فانا في نظرهم مجرد فار كالاخرين واذا لحقوا بي .

وتوقف يهز كتفيه بلا مبالاة .

هبط قلب نوسيان ، الذي لم يهبط حتى عندما كان الخنجر على حنجرته ، وبدأ يدق كما يفعل قلب راكضٍ في السباق . وقال «اذا لحقوا بي».

لا اقدر ان اخبرك ـ انها ستكون كارثة تحـل بالمنطقـة

كلها ـ لا استطيع ان اقول لك اكثر من ذلك .

في تلك اللحظة جاءت الريح بأول جلبة للاصوات التي كانا يسمعانها انها اختناقات اصوات كلاب صيد كانت تحدثها بدلا من رجال ، كأنها لهاث حار يرسله قطيع . وبالرغم من ضربات قلبه ، فقدشعر لوسيان برأسه يبرد ، والامور تتضح كما لو انه يرتفع فوق ما هو حادث حواليه .

«اختبيء تحت المصطبة . ساسحب البطانية على واجهتها ، واختبيء في هذه الناحية خلف ساقي» .

نظر الرجل اليه لحظة ، كأنه يختبر ان كان الامر فخا ينصب له ، ثم من ناحية اخرى ، كان الامر لغزاً بالنسبة اليه ، مسألة البطانية والطريقة التي لم يحاول بها الصبي النهوض او التوضيح . اشار بالموافقة وبدون اية كلمة خر على يديه وركبتيه واختفى تحت الغطاء .

سحب لوسيان البساط من على ساقيه بعجلة شديد الاهتياج ، ونشر النصف غير المستعمل على طول واجهة المصطبة بحيث غطت المقدمة وجعلت من المكان مخبأ مظلما للرجل اليائس يستطيع فيه ان يربض . ثم بدأ يشغل نفسه بشيء ما بعناية وبتركيز ولم يدر ما هو ـ حول شكل بوز كلب الصيد الممتد بين البراثن .

حدث كل شيء بسرعة هائلة ، وسكن كل شيء من حوله ثم اخذه رعب من ان سايروس الذي كان في المطبخ يبحث عن

عظم ، قد يأتي مهرولا الى الحديقة ويتشمم رائحة غـريبة تحت المصطبة ، اوقد يأتي ماركيبور لينقله الى الداخل .

كـان فريق البحث في الحـديقة المجـاورة ، وكان فـلاح الحديقة الشيخ يعنف كدجاجة غاضبة لان قدمي احدهم قد عبثتا بقطعة العشب لديه وسمع بعضهم من على بعد اقدام قليلة يقول سيدي هنا مكان مكسور في السياج ، انه قد ذهب هذه الناحية.

ثم كان هناك هتاف ووقع اقدام على الحصى ثم ،

«كلا ليس من السياج ايها الاحمق . انه في حديقة بيلوس بريور . اجتاز من فوق الجدار الى الداخل».

وسمع وقع الاقدام الماشية في ما وراء السياج .

اخذ لوسيـان نفسا عميقـا ، ونظر الى التمثـال الطيني الصغير . في الوقت الذي وصل نصف فصيـل من الجنود يقودهم ضابط من الحرس شاب ، الى جدار الدكة .

رأى الضابط الصبي فوق المصطبة وناداه قبل ان تطأ قدماه ارض الدكه :

«وكان هنا رجل اى طريق سلك ؟»

«أي رجل ؟ لم يكن هنا اي رجل» وكان في صوت لوسيان قليل من الارتعاش ، وتقدم نحوه ضابط بهي الطلعة في وجهه نمش بينما تفرق رجاله يبحثون في الحديقة .

سأله الضابط «اذن لماذا ، انت تنظر وكأنك قد شاهدت

شبحا ؟».

تكلف لوسيان ابتسامة «ستة ـ كلا سبعة اشباح ، لقد جعلتني انت وزمرتك اثب ، لم اسمع بكم وانتم قادمون».

هذا مقبول . انظر الان ، اننا نطارد هاربا ، ونعرف انه سلك هذا السبيل ، فاين ذهب ؟

«لم يدخل الحديقة احد وانا فيها .»

«منذ متى كان ذلك».

«اكثر من ساعة».

«ولم يمر احد».

«قلت لك».

داعب آمر السرية ذقنه ، واشار الى المكان المحطم في السياج . «من فعل ذلك اذن».

«ذلك ؟ حدق لوسيان بالاتجاه المشار اليه .

قال الضابط : الثغرة في السياج» .

«اوه تلك . لقد احدثها كلبنا سايروس . انهم يرمون العظام في الخارج لانها تفيد الورد ، وهو على الدوام في طلبها» .

نظر آمر السرية اليه باهتمام وظل صامتا لفترة .

ألا تصدقني ؟ قال لوسيان باكثر ما يقدر عليه من غطرسة . ابي هو لوسيوس ليسينوس قائد الفيلق.

أفتجرؤ على الظن باني اخفي هاربا» .

دفع آمر السرية رأسه الى الـوراء بضحكة وقـال «كنت ساعرف انك ابن الشيخ عـلى كلٍ حـال حين تـدرعت بتلك النبرة ـ حتى لو لم اكن اعلم بان هذه حديقته ... الا اننـا نبحث في هذه الارياف الى ان نجده لقد التوى كاحلـه وهو يقفزمن جدار الحمام ، وصار يعرج كبطة حين افتقدناه ، انه لا يقدر على الابتعاد كثيرا».

ارتجف صوت الآمر بارتباك وتحقق لوسيان بأن الوجه الصديق المنمش لآمر السرية قد عرف سره ، لقد كان يعرف كل شيء عنه ، وكان يرغب لو لم يكن قد قال بأنه اعرج كبطة ولا يستطيع الابتعاد .

كان يبغض على الدوام ان يعرف الغرباء عنه بأنه عاجز عن المشي . وقد ابغضها الان واحس بالعار وبالاشمئزاز ، ود لو انه حملق في الامر غضبا ليرى كم هو لا يهتم ولكن لم يكن الامر الان أيهتم ام لا يهتم ، كل ما كان يهمه هو ان يحول بينهم وبين اكتشاف الرجل تحت المصطبة . وانه لو استبقى الضابط واقفا هنا امام المصطبة بينما يكون رجاله قد انهوا بحثهم ، فقد يأتون لينظروا ما تحت المصطبة .

اقترح على الآمر : ربما يكون قد اختبأ في احدى عربات السوق.

«لقد فتشت العربات . هل هناك من اثر يارفريوس ؟».

«لا اثر حتى الان ياسيدي» وتردد الصوت مكتوما قليلا

من بين الورد المتشابك والاحراش القديمة التي كانت تحجب منظر البيت كله .

قال الآمر : اندفعوا اكثر في ذلك الطريق» .

بحث لوسيان عن شيء اخر يقوله ووجده قال «لماذا فر ؟».

هز آمر السرية كتفيه استخفافا «يوجد دائما قليل من الفارين من بين الاحتياط في هذا الموسم من السنة قد يدفعهم الى ذلك الحنين الى الوطن وبخاصة في موسم الربيع ، الاغبياء المساكين . وهو وان لم يقبض عليه ... فليس امام الهارب من عيش لانك لا تستطيع ان تقضي حياتك هاربا».

ارتجف لوسيان قليلا ، وغطى على ذلك قائلا «الوقت يبرد ، وستغرب الشمس ما وراء التلال».

اومأ الضابط علامة الموافقة «أليس من الاحسن لو انك تلتف بهذه البطانية ؟».

«كلا»، اجاب لوسيان بسرعة ثم قال مما يجعل ساقي اقوى هو ان يمسها الهواء النقي.

قال آمر السرية «حسناً ، هذا هو الامر اذن ، دعهما سليمين وقويين ، ثم سنستقبلك في الفيلق بعد ذلك».

كان نظره مصوبا نحو رجاله في الأجمة . بعد ذلك عقد حزام سيفه ثم التحق برجاله .

سمع لوسيان اصواتا كان يخشاها . فقد استروح سايروس غرباء وكان ينبح من خارج موقع الطبخ . وارتفع

النباح وتغيرت نبرته عندما فتح باب وتمكن من سماع شتائم ماركيبور .

سيأتي الكلب الكبير بعد لحظة يجري مسرعا من البيت . وهو يعرف السرية ولا يقلق من ناحيتهم حين يشاهـدهم ، ولكن ان يتحسس رجـلا وبرائحـة مطارد ومختفيـا تحت المصطبة ...

راودته لمحة من يأس كليله . ان الامر ليس في سلطانـه الان . ، اللـه وحده القـادر على دفـع حـدوث هـذا الشيء المرعب . وبيأس ودون مهلة تفكير ، قام بفعل الشيء الوحيد الذي بقي له . نذر للالهة . وكان نذرا غريبا . ألّا انه قوي ، لأنه يعني سيترك احلامه القديمة التي لم يدر انه متمسك بها حتى هذه اللحظة ، وكانت تعني اصعب وأجرأ شيء فعله في حياته .

حدق بعين امر السرية قبـل ان يغادره بلحظـة وابتسم ابتسامة عريضة وقال «قل هذا للبطة الوحشية ، ان ذهني يعمل على احسن ما يمكن ، وان ساقي هما اللذان لا يفعلان ذلك ولدي احساس كاف لان اعرف بأن ليس لاحد محل في السرية اذا لم يقدر على المشي».

ظهر سايروس وماكيبور لدى انعطافة الطريق في الاجمة ، والعبد يمسك بمقود الكلب الضخم الذي كان يتقدم نحوه مزمجرا وشعره منتصب منفوش فوق ظهره .

توقف ماكيبور حين التقى بالضابط ، وسأله باحترام وتأدب ، ماذا كان وجود نصف افراد السرية في الحديقة بأمر سيده .

لم يسمع لوسيان ماذا جرى بعد ذلك ، لان الرجلين كانا يتحدثان بصوت منخفض ، وكانا على بعد منه . الا ان سايروس قد توقف عن الزمجرة ثم رأى ماكيبور يطلق الكلب من الطوق ويربت على كتفه ليرسله عائدا الى البيت .

وهو في طريقه الى البيت حين كانت هذه الاشياء تتم وتخفت اخر اصوات المطاردة في فترة قصيره .

كان الرجل الذي يحمل رسائل القيصر مقرفصا تحتك كتفاه في سقف المصطبة ويدعك كاحله المتورم ليرخي التصلب ، ويكافح من اجل نفثات من الهواء كأنه نصف مخنوق في هذا المخبأ :.

قال اخيرا «لقد تم ذلك بكل شجاعة ، هل تعلم ، اني كنت اعجب ، حين زحفت تحت المصطبة ، ما أذا كنت قد وقعت في مصيدة».

«لكنك اخبرتني عن رسائل سرية».

«اوه ، نعم رسائل القيصر» . قال الرجل وعلى وجهه ما يشبه الضحك .

قال لوسيان يجب ان تذهب ، بأمكانك الاختباء بين سقط المتاع تحت الدكه الى ان يسقط الظلام ، بعد ذلك توجه نحو

احراش النهر .

سيأتي ماركيبور في الحال لينقلني عائدا الى البيت.

لم يعبأ بأن يعرف ذلك الرجل الذي خبأ عن اعين فريق البحث ، كل شيء عنه.نهض الرجل يعرج وقال «انا آسف كما آسف صديقنا آمر السرية ، ان للفيلق ما يفعله بدونك . قد يكون ذلك خسارة للفيلق ذاته».

قال الصبي «اوه ، لا افترض ذلك . فانا على كل حال قد فعلت ما يفعله جندي ولكن ليس كفعل والدي».

قال الشاب الهارب وقد مس بمقدم اصابع يده التمثال الطيني للكلب عجبا !

شيء واحد اريد ان اقوله لك . قد لا تكون جندياً كابيك . ولكني واثق ان أباك لا يستطيع ان يجعل من كتلة الطين شيئا ينبض حرارة وحياة ، ويزن ثقلا كأنه كلب صيد حي راقد .

استدار نحو جدار الدكه المنخفض ، واعتلاه بساق واحدة ثم غاب عن الانظار.

سمع لوسيان انين تألم ، وجلس ينظر الى المكان الذي كان فيه ، واحس بتعب : التقط كلب الصيد الطيني الصغير ، غير ان الطين كان قد يبس .

لم يستطع ان يعمل فيه اكثر ، وفكر انه قد عرف الان ماذا كان الخطأ في البوز ولكن سيحتفظ به على كل حال فقد كان جزءا من شيء مهم للغاية . ولكنه حالما سيحصل على بعض

طين ، فسيعمل كلب صيد آخر ، وربما شيئا آخر غير ذلك وكان يعرف انه سيكون احسن من هذا الذي بين يديه .

وبطريقة ما لم يفكر كثيرا برسائل القيصر .

فما كان الا بعد مضي سنين حين فهم بأنه لم يكن قد آمن بالحكاية . والامر كان ببساطة ان الرجل كان مطاردا ، ولذلك خبأه .

كان الهارب يقرفص بين الالواح والانقاض تحت جدار الدكه ، ينتظر حلول الظلام لقد تحمل سنتين من سني الاحتياط[1] الخمس والعشرين ـ وما كان في اكثرها قادرا على تذكر ما جعله يلتحق بهذه الخدمة[1] ، ان لم يكن ذلك ببساطة بأن جده شيخ القبيلة كان قد صمم بأن عليه ان يكون على رأس الشباب في واديهم حين هبطوا ليلتحقوا بالقوة .

سنتان من الانضباط الصلب ضمن الحظيرة ، وفقدان للحرية ، واليوم هذا وفجأة ، ان ذلك اكثر ما يحتمل لذلك اعتلى جدار حمام البيت وخرج .

لو ان كاحله لم يلتو ، لكان الان بين اشجار الغابة . ولكن ماذا ياترى معنى ما قاله امر السرية ؟

«لن تستطيع قضاء حياتك هاربا» .

كان على الصبي ان يجرى هاربا بطريقته الخاصة . لقد ادرك الهارب ، وهو تحت المصطبة يتصبب عرقا سبب توقف

(١) قوات أجنبية في خدمة دولة اخرى .

الصبي عن الهرب .

ومن تحتــه كانت احــراش النهر تبــرد ضبابيــة في ذلك المساء .

من المحتمل الا يكون جزاؤه الموت ، اذا هو سلم نفسه بارادته . قد يكون الجزاء جلدا ، وقد يكون حبسا في الزنزانة وخبزا وماء وعارا .

وحين ينتهي كل ذلــك فان قفص الانضبــاط والتنمر في الحضيرة ستعود كما كانت من قبل . ولكن الا يستطيع المرء ان يبدأ صفحة جديدة .

احس بطريقة غريبة ان معه رفيقا في دربــه ، فنهض ، يعرج على رسغ قدمه وعاد الى القلعة .



كيف دخل «موغلي» في قطيع الذئاب

رديارد كبلنغ



كان الوقت هو الساعة السابعة من مساء دافىء في تلال سبوني، حين استيقظ الذئب الاب من استراحته اليومية، وحك جلده، وتثاءب، ونشر مخالبه الواحد بعد الاخر ليتخلص

من احاسيس النوم في اطرافه، وكانت الذئبة ترقـد وانفها ممتد عبر دغافلها الاربعة، وهم يتطافـرون ويتصايحـون، وكان القمر بازغا في مدخل الكهف الذي كانوا يعيشون كلهم فيه.

«اوغر ..ر ..ر » قال الذئب «حان الوقت للتصيد ثانية» وكان على وشك ان يقفز الى اسفل التل حين شاهد شبحا بذيل كثيف الشعر يجتاز العتبـة ويعوي : «الحظ السعيـد لكم، ياسادة الذئاب، وحظ سعيد واسنان بيض قـويه للصغـار الذين لعلهم لا ينسون ابدا الجوع في هذه الدنيا» .

كان ذلك هو ابن آوى ـ تاباكوى لاعق الصحون ، وذئاب الهند تحتقر تاباكوى، لانه يتسكع مزعجا، ويقص حكايات ويأكل الفضلات وقطع الجلد من مخلفات وفضلات القرية. لكنهم كانوا يخشونه ايضا، لان تاباكوى اكثر من اي احد في الاجام، يقدر ان يجن، وعندها ينسى خـوفه من اي احـد، ويجري في الغابة يعض كل شيء يعترض سبيله. وحتى النمر كان يجري ويختبيء حين يجن جنون تاباكوى الضئيل، لان الجنون هو اكثر الاشياء عارا يركب حيوانا. ونحن نسميه «داء الكلب» ولكنهم يسمـونـه «ديـواني» ـ الجنـون ـ ثم يهربون .

قال الذئب الاب بخشونة : «تعال، اذن، وانظر، ولكن ليس معنا هنا طعام لك».

قال تاباكوى : «لذئب؟ كلا، ولكن لشخص حقير مثلي يكون عظم يـابس احتفالا جيـدا. من نحن الفيدور لـوغ ـ بنات آوى ـ لكي نلتقط ونختار؟ ثم عدا نحو قعر الكهف، حيث وجد عظم وعل عليه بعض اللحم، وجلس يعرقه مسرورا.

«الشكر كله لكم على هذه الوجبة الطيبة» قال وهو يلعق شفتيه.

«ما اجمل الاطفال النبلاء. وما اوسع عيـونهم. وهم لا يزالون صغارا ايضا. حقا. حقا. علي ان اتذكر بان اطفـال الملوك هم راشدون، منذ البدء».

تاباكوى يعرف كما يعرف اي احد غيره، الا شيء يسيء الحظ مثل امتداح الاطفـال في وجوههم. لقـد سره ان يرى الذئبة والذئب وهما يبدوان غير مرتاحين.

جلس تاباكوى قليلا مبتهجا بالشيء الـذي اتاه ثم قـال بحقد :

«شـيرخان، الـواحد الكبـير قـد نقـل منطقـة صيـده. وسيصطاد بين هذه التلال من الآن الى الشهر القادم، هكذا قال لي».

وشيرخان هو النمر الذي كان يعيش قرب نهر وينغوانغ، على بعد عشرين ميلا.

قال الذئب الاب غاضبا : «لا حق له فبموجب قانون الغاب لا يحق لـه ان يبدل ربـوعه دون انـذار مطابق لـلاعراف.

سيخيف كل الحيوانات على بعد عشرة كيلو مترات، وانا ..
ساصطاد على مسافة كيلومترين في هذه الايام» .

قالت الذئبة متمهلة : «لم تسمه امه "لونغرى - الاعرج -" عبثا لقد كان اعرج بقدم واحدة منذ الولادة. وهذا هو السبب في انه لا يفترس غير الماشية. وسكان وينغوانغ الان يرمون به، وقد جاء الى هنا ليغضب قروييننا فهم سيتلفون الأجمات من اجله حين يكون بعيدا، ونحن واطفالنا يجب علينا ان نجري حين تشب النار في العشب. حقا اننا لشكورون لشيرخان» .

قال تاباكوى «هل ابلغه عرفانكم الجميل ؟»

رد عليه الذئب بحدة : «اخرج، اخرج واصطد مع سيدك. لقد اسأت بما فيه الكفاية في ليلة واحدة» .

قال تاباكوى بهدوء : «انا ذاهب وبوسعكم سماع شيرخان في الاسفل، في الاجمات ولاحتفظ بالرسالة لنفسي»

اصغى الذئب الاب ، وهناك في اسفل الوادي ، وكان ينحدر نحو نهير صغير ، سمع عواء غاضبا جافا لنمر لم يصطد شيئا ولا يهمه ان يعرف ذلك كل سكان الاجمه .

قال الذئب : «المجنون، يبدأ اول ليلة عمله بضوضاء، هل يظن ان وعلنا يشبه ثيرانه السمان ؟»

قالت الذئبة : «هش . ش .» لا وعل ولا ثور هنا يريد اصطياده هذه الليلة، انه انسان.

انقلب العواء خرخرة مدوية بدت كأنها آتية من كل ربع في المكان . كانت تلك الضوضاء هي ما يريك الحطابين والغجر الراقدين في العراء مما يجعلهم احيانا يجرون ليقعوا بين انياب النمر .

«انسان» ! قال الذئب، وهو يبرز كل انيابه البيض ، ويل له اليس هنالك ما يكفي من خنافس وضفادع في الخندق ، حتى ينبغي له ان يأكل انسانا ، وفوق ارضنا ايضا .

ان قانون الغاب الذي لا يسمح بفعل أي شيء دون ما مبرر يمنع اي وحش ان يفترس آدميا ، الا اذا كان الافتراس من اجل ان يرى اطفاله كيفية الافتراس ثم ان عليه ان يفعل ذلك خارج مواقع صيد قطيعه او عشيرته . والعلة في ذلك ان افتراس آدمي يعني عاجلا ام آجلا وصول اناس بيض مع بنادقهم فوق ظهور الفيلة ، ومعهم مئات من الرجال السمر باجراسهم وسهامهم ومصابيحهم . وهنا يصيب المكروه جميع سكان الاجمة . والسبب الذي تعطيه الوحوش لذلك هو ان الانسان هو الاضعف والاقل تحصناً من جميع المخلوقات الحية . ثم ان المسألة ليست فعلا رياضيا ، كما يقولون ايضا وهو قول حق ، بان من اكلة لحوم البشر يصيبهم الجرب وتسقط اسنانهم .

ارتفع الزئير وانتهى بولولة ليست نمرية من شيرخان .
قالت الام الذئبة: «لقد اضاع شيئا ما فما هو ؟»

جرى الذئب الى الخارج بضع خطوات فسمع شيرخان يبربر ويغمغم في الاجمة .

قال الذئب وهو ينخر «ليس للاحمق من عقل ، فهو لم يفعل اكثر من ان وثب وسط نار حطابين فاحرق اقدامه ، وتاباكوى معه» .

قالت الام وهي تنصب احدى أذنيها «هناك شيء ما يرتقي التل» . خشخشت الاحراش قليلا واقعى الذئب ثم وثب في قفزة قبل ان يرى على ماذا هو واثب ، وحاول ان يتوقف فكانت النتيجة ان قذف في الهواء على بعد اربعة او خمسة اقدام ثم سقط في المكان الذي وثب منه .

«انسان» قال بحدة وسرعة «ولد انسان ، انظري» . وامامه مباشرة كان يقف طفل آدمي اسمر اللون عار يمسك بغصن دان وهو في اول مشية له ، انه انعم واصغر مخلوق وصل الى الكهف ليلا على الاطلاق .

رفع الطفل بصره الى وجه الذئب وضحك .

قالت الذئبة : «هل هذا دغفل انسان ؟ . لم اشاهد واحدا من قبل، هاته الى هنا» .

ان الذئب الذي الف تحريك ونقل دغافله عند الضرورة يستطيع التقام بيضة دون ان يكسرها ، ورغم انطباق فكي الذئب على ظهر الطفل الادمي ، فلم تخدشه اي سن وهو ينقله ليضعه بين دغافله .

«ما اصغره واعراه واجرأه !» قـالت الام بحنو . وراح الطفل يشق طريقه ليركن في مكان دافىء .انظر ، انه يتناول الطعام مع الاخرين . هكذا انه ابن انسان . والان هل هناك من ذئب يفخر بان له ابن انسان بين دغافله ؟

قال الذئب: «سمعت ان شيئا مثل هذا قد حدث هنا أو هنـاك ، ولكن ليس في قطيعنا ولا في زمننـا . انه بـلا شعر واستطيع قتله بلمسة من قدمي . ولكن انظـرى انه ينظـر وليس بخائف».

احتجب نور القمر عن مدخل الكهف ، لان رأس شيرخان الرباعي الشكل واحد كتفيه قد حشرا في المـدخل ، وكـان تاباكوى يسمع يقول له من ورائه «سيدي ، ومـولاي ، لقد دخل الى هنا» .

قـال الذئب ولكنَ بعينـين غاضبتـين «انت تشرفنـا يـا شيرخان ، فماذا يطلب شيرخان ؟»

قال شيرخان: «طريدتي . ابن انسان سلك هذا السبيل لقد هرب أبواه . اعطني اياه» .

كان شيرخان قد قفز في نار مخيم حطابين ، كما الذئب ، وكان متهيجا من الم في قدميه المحترقتين . ولكن الذئب عرف بأن باب الكهف لا تتسع لدخول النمر ، حتى ولو قلص كتفيه ومخالبه ،كما يفعل صياد يحاول ان يطلق النار من بندقيته .

قال الذئب : «الذئاب قـوم احرار ، يتلقـون الاوامر من

رئيس القطيع .

وليس من قاتل ـ ماشية مخطط . ان دغفل ابن آدم لنا ـ نقتله متى نشاء» .

«تشاء او لا تشاء ، . ما هذا الكلام عن الاختيار ؟ اقسم بالثور الذي قتلته لأقفن داسا انفي في وكر الكلب هذا لديكم من اجل مطلبي العادل ، انا شيرخان ، من يتكلم» .

ملأ زئير النمر الكهف رعدا . وانتفضت الذئبة ورفعت عن الدغافل نفسها ووثبت الى الامام ، وعيناها كأنهما قمران اخضران وسط الظلام ، وواجهت عيني شيرخان الملتهبتين .

«انا ـ اكشا الشيطانة من تجيب ، ان ابن الادمي لي ، يالنغري ـ لي انا . لن يقتل ، سيعيش ليجري مع القطيع ويصطاد مع القطيع ، وفي الاخير انظر انت ياصياد الدغافل العارية الصغيرة ، ياآكل الضفادع ـ قاتل الاسماك انه سيصطادك انت . والان اذهب من هنا والا فانا اقسم بالسامبهور الذي قتلته (وانا لا آكل الماشية العجفاء) لترجعن الى امك ، يا وحش الاجمة المحروق ، لترجعن اكثر عرجا مما جئت به الى العالم . اذهب» .

نظر الذئب بدهشة ، فقد نسي مع الزمن الايام التي كان قد كسب فيها الذئبة في صراع عادل مع خمسة ذئاب اخر ، حين جرت هي في القطيع وما كانت تسمى (الشيطانة) عن طريق المجاملة . كان يمكن شريخان ان يواجه الذئب غير انه

لا يقف امام الذئبة ، لانه كان يعرف انه اينما سيكون فسيكون لها ميزة الثبات على الارض وسيصارع حتى الموت . وهكذا انسل من مدخل الكهف وهو يهر ، وحين ابتعد صاح :

«كل كلب في داره الخاصة ينبح . سترى ماذا يقول القطيع عن تربيتكم لدغفل آدمي . الدغفل لي ، ولاسناني سيأتي في النهاية ، ايها اللصوص ذووالذيول كثة الشعر» .

ارتمت الذئبة تلهث بين الدغافل وقال لها الذئب وهو يشعر بالخطورة :

«ان شيرخان يتكلم بالصدق . فالدغفل ـ الادمي يجب ان يعرض على القطيع . هل ستحتفظين به ايتها الام ؟»

«احتفظ به» . قالت لاهثة ، لقد جاء ليلا عاريا ، وحده وهو جائع ومع ذلك لم يك خائفا . انظر لقد دفع احد اطفالي الى ناحية . هل احتفظ به ؟ بالتأكيد ساحتفظ به ، فارقد ايها الضفدعة الصغيرة ، انت يا موغلي ـ فسادعوك الضفدعة موغلي ـ سيأتي الوقت الذي ستصطاد فيه شيرخان كما اراد هو اصطيادك» .

قال الذئب : «ولكن ماذا سيقول القطيع ؟»

ان قانون الغاب يطرح بوضوح بأن اي ذئب يمكن حين يتزوج ان ينسحب من القطيع الذي يخصه . ولكن حالما تكبر دغافله الى حد قدرتها على الوقوف على اقدامها فعليه ان يأتي

بها الى مجلس استشارة القطيع ، الذي يجتمع مرة كل شهر في ليلة البدر ، لغرض تعرف ذئاب القطيع عليهم . وبعد ذلك التفتيش تكون الدغافل احرارا ليجروا حيث ارادوا ، والى ان يكونوا قد قتلوا اول وعل لهم فلا عذر يقبل اذا ما قتل ذئب بالغ من القطيع احدا منهم والعقوبة هي الموت للقاتل حيث وجد وهذا ما يجب ان يكون ، لو فكرت دقيقة واحدة» .

انتظر الذئب الى ان قدر دغافله على الجري قليلا ، ثم في ليلة اجتماع القطيع اخذهم ومعهم "موغلي" والذئبة الى حيث تقع صخرة المجلس - وهي عبارة عن قمة مغطاة بالصخور والجلاميد حيث تختبيء مئات الذئاب . وكان مستلقيا هناك على ظهره الى صخرة "اكيلا" الذئب المنعزل الذي كان يقود القطيع بقوة وحنكة ، وادنى مجالس منه كان يجلس اربعون ذئبا او اكثر من جميع الحجوم والالوان . لقد قادهم الذئب المنعزل مدة عام لحد الان . وكان قد تعرض في شبابه مرتين لاشراك تذهب للذئاب ؛ وفي احدى المرات ضرب الى ان ترك الى ما يشبه الموت ، ولذا فقد كان يعرف عادات البشر واساليبهم . كان الحديث عن الصخرة مقتضبا . واضطرب الدغافل يطارد بعضهم بعضا في وسط الدائرة حيث كان يجلس اباؤهم وامهاتهم وكان احد الذئاب الكبيرة بين حين وآخر يذهب بهدوء يسير نحو الدغافل يحدق فيها بعناية ثم يعود الى مكانه رفيق الخطى . واحيانا تندفع ذئبة ام

لتدفع دغفلا لها تحت ضوء القمر لتتأكد من انـه يلاحظ .
وكـان اكيلا يصيـح: «انتم تعرفـون القانـون ـ القـانـون تعرفونه ، انظري جيدا ، ايتها الذئاب» . وكـانت الامهات القلقات البال ، يرددن بعده: «انظري ، انظري جيدا ، ايتها الذئاب» .

وأخيراً ، وشعر الام الذئبة ينتصب مع مرور الـوقت ـ انـدفع الـذئب الاب ودفع الى المـركـز الـوسط "مـوغـلي الضفدعة" كما كانوا يسمونه وكان يجلس ضاحكا لاهيـا باللعب بالحصى الذي كان يلمع تحت ضوء القمر .

لم يرفع اكيلا قط رأسه من على مخالبـه ، ولكن استمر يقول بصوت رتيب: «انظروا جيدا» ...

كان يسمع هدير عميق ، وطرح ذئب في الرابعة من عمره على اكيلا سؤال شيرخان: «ماذا على القوم الاحرار ان يفعلوا بدغفل ـ آدمي؟» والان ، وقانون الغاب يقول انـه اذا كان هناك جدال في ما اذا كان يحق لدغفل ان يقبل في القطيع ، فيجب ان يزكيه لا اقل من عضوين من اعضاء القطيع ، لا يكون ابوه وامه من بينهم .

قال اكيلا: «من يتكلم بخصوص هذا الـدغفل من بـين الذين يتحدثون؟»

لم يكن هناك من يجيب ؛ فتأهبت الذئبة الام وقد ادركت ان هذه قد تكون فرصتها الاخيرة في الصراع ، اذا ما صارت

الامور الى صراع .

بعد ذلك قال المخلوق الوحيد المسموح له بحضور مجلس القطيع ـ بالو الدب الأسمر الذي يعلم دغافل الذئاب قانون الغاب بالو الشيخ العجوز ، الذي كان يقدر ان يغدو ويروح كيفما يشاء لانه يأكل فقط البندق والجذور والعسل ـ نهض وقبع . وقال "دغفلآدمي" انا اتحدث الى جانب الدغفل الآدمي ، لا ضرر من دغفل ادمي . انا لا املك منطقا ولكني اقول الحقيقة . دعوه يجري مع القطيع ، وليدخل مع الاخرين ، وانا نفسي سأقوم بتعليمه» .

قال اكيلا «نريد اخر ، فبالو قد تحدث ، وهو معلمَ صغارنا ، من يثني على كلام بالو» .

تسلل شبح اسود الى وسط الحلقة ، وكان ذلك هو باغيرا ، الجغوار الاسود . كان كله اسود اللون ، ولكن فيه علامات ترى في النور ، كأنها حرير يتموج . كان الجميع يعرفون "باغيرا" فما اعترضوا سبيله ، لانه كان ماكرا مكر تاباكوى وجريئاً جرأة الثور الوحشي ، ومتهورا كالفيل الجريح . ولكن له صوتا ناعما كالعسل البري يتساقط من شجرة ، وجلدا انعم من الوبر .

بربر الجغوار: «يا اكيلا» وانتم ايها القوم الاحرار ، ليس لي من حق في حضور اجتماعكم ، ولكن قانون الغاب يقول اذا كان هناك من شك في قضية ليست قضية قتل ، فيما يخص

دغفلا ، فان حياة ذلك الدغفل يمكن ان تفتدى بثمن . هل انا مصيب.

قال الذئاب الكبار والاحداث الجائعون «حسنا ، حسنا ، اصغوا الى باغيرا فالدغفل يمكن ان يفتدى بثمن انه القانون».

قال باغيرا «ولعلمي بأن ليس من حقي التحدث هنا فانا استاذنكم في الذهاب».

«تحدث اذن» قال ذلك عشرون صوتا .

قال : "ان قتل دغفل عار هو عار اضافة الى انه يكون لكم رياضة حين يكبر» .

لقد وقف بالو الى جانبه وانا اضيف الى ما قاله بالو ثورا واحدا ، واحدا سمينا قتل حديثا لا يبعد اكثر من نصف ميل من هنا اذا قبلتم الدغفل الادمي حسب منطوق القانون في الغاب . هل هذا عسير؟

حدثت جلبة من اصوات عديدة تقول «ماذا يهم ، سيموت تحت مطر الشتاء او سيحترق تحت أشعة الشمس فما الضرر الذي يوقعه ضفدع عار بنا ، ؟ دعوه يجري مع القطيع . اين الثور يا باغيرا»! بعد ذلك سمع اكيلا ينبح نباحا عميقا ويصرخ «انظر جيدا انظري جيدا ايتها الذئاب».

كان موغلي لا يزال يلعب بالحصى ولم ينتبه حين اقتربت منه الذئاب وتفرست فيه الواحد بعد الآخر . واخيراً هبط

الجميع الى اسفل التل متوجهين نحو الثور القتيل ولم يبق إلاّ اكيلا وباغيرا وبالو وذئبا موغلي .

في الليل زأر شيرخان بحدة فقد كان غاضباً اشد الغضب ان موغلي لم يسلم له .

قال باغيرا متحدثا من تحت شاربيه «ازأر كما يحلو لك فسيأتي الوقت الذي يجعلك فيه هذا الشيء العاري تزأر بلحن آخر ، او انني لا اعرف عن الانسان شيئا ؟».

قال اكيلا : «قد انتهى الامر بشكل حسن فالبشر ود غافلهم عاقلون جدا وقد يكون لنا هذا عونا على الزمن في وقت الحاجة».

قال باغيرا : «حقا انه عون في وقت الحاجة فلا يؤمل احد ان تظل تقود القطيع الى ما لا نهاية».

لم يقل اكيلا شيئا . كان يفكر في الوقت الذي يأتي على كل زعيم قطيع ان تخونه قواه ويسير نحو الاضعف فالاضعف الى ان تقتله الذئاب وتنصب عليها زعيماً جديداً بدلا منه وبدوره كذلك سيقتل .

قال اكيلا مخاطبا الذئب «خذه واخرج به ودربه لكي يكون ملائما كواحد من افراد القوم الاحرار» .

وهكذا أدخل موغلي في قطيع سيوني للذئاب لقاء ثمن فدية كان ثوراً حسب نصيحة بالو .

صدر عن دار ثقافة الاطفال





اريك نايت



ترجمة: شفيق مهدي



روايات
عالمية
للفتيان

مغامرة فوق الجزيرة

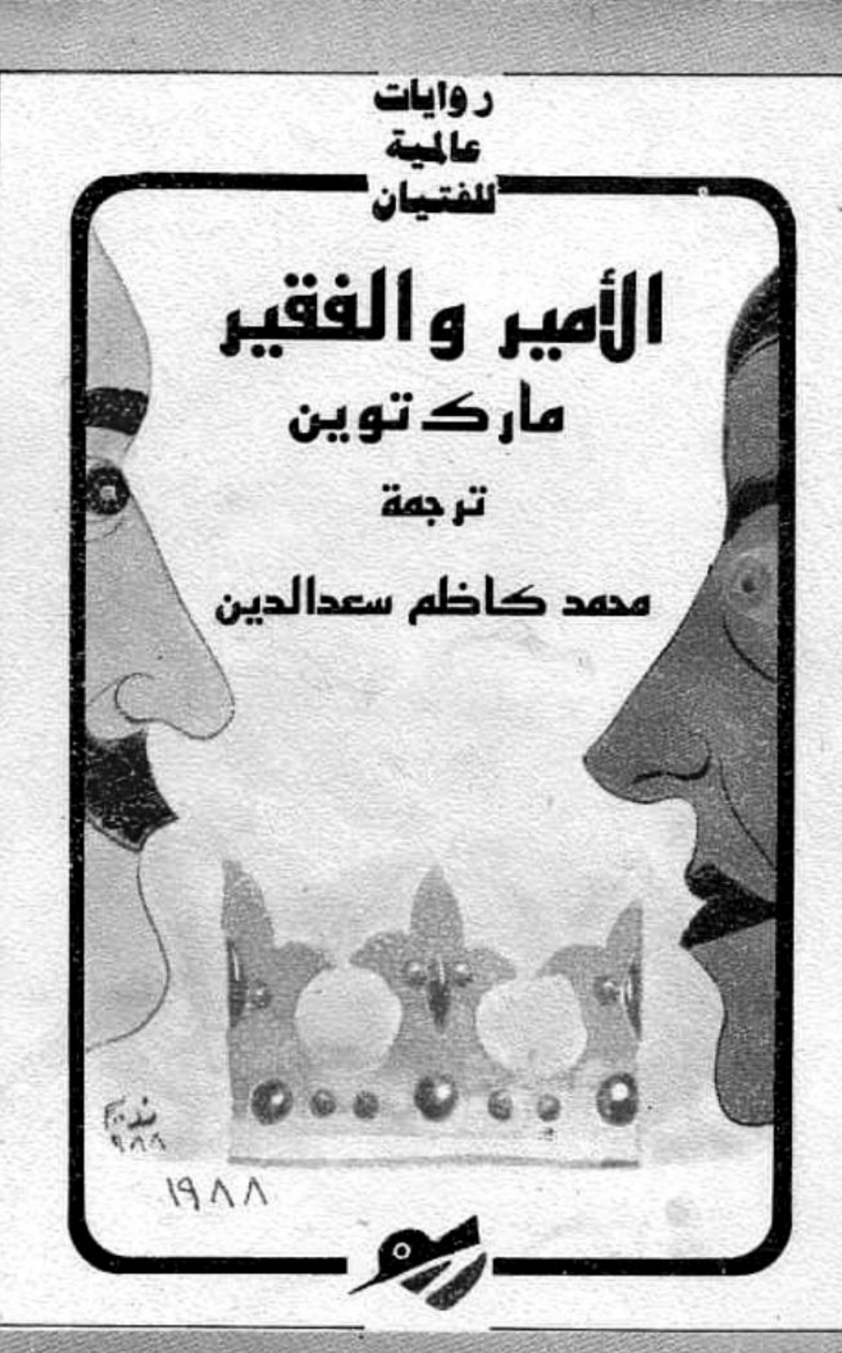
الجزء الأول

ارثر رانسم

ترجمة خالد عبد الباقي






روايات
عالمية
للفتيان
الأمير والفقير
مارك توين
ترجمة
محمد كاظم سعدالدين
١٩٨٨

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ٦٥٤ ببغداد لسنة ١٩٨٩ .

دار الحرية للطباعة



دار ثقافة الاطفال

قسم النشر

روايات عالمية للفتيان

دار الحرية للطباعة